ANCORA IMPARO



العصور

اغسطس ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك: فيثاغورس مجلد ٥ العدد ٢٤



مطالعات

في سفر الخروج

في مقالنا الاول « مطالعات في سفر التكوين » الذي نشر في العدد الماضي، استطعنا أن نستورد عدة وقائع ينص عليها سفر التكوين في خروج ابراهيم من أور الكلدان، وفي وزارة الصديق يوسف في مصر. غير أنه فاتنا أن نمضي في مقارنة علمية نوازن فيها بين ما ذكر في سفر التكوين وما ذكر في القرآن خاصاً بابراهيم. فقد ذهبنا مذهب القرآن في أن ابراهيم لم يغادر أور الكلدان هو وأبوه وابن أخيه لوطاً وبقية من كان معهم من الزوجات والاقارب الا لفكرة في التوحيد اعتنقها ابراهيم وبشر بها في أرض ما عرف أهلها الا التكثير. ولقد روى القرآن في ذلك رواية ابراهيم كاملة ونص على أشياء يستدل منها على

عشر سنين ثم قفل راجعاً الى مصر ، لينزل الأرض التى يسكنها أهله فى جاسان . ولما توسط البرية وكان البرد شديداً « قال لاهله امكثوا انى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى » . — وهنالك نزل عليه الوحى بأن يذهب الى فرعون ليخلص من يده أبناء اسرائيل وكان بعد ذلك ما كان من خروجه من مصر بأبناء اسرائيل

* * *

إن كل ما نريد من بحثنا هذا أن نثبت :

أولا — أن يوسف كان وزيراً لملك هكسوسى

ثانياً — انه لعب دور المصلح الاجتماعى ليخدم الهكسوس

ثالثاً — انه شهد بدء الحرب الاستقلالية كما شهد اواخرها

رابعاً — ان الاستبداد بالعبرانيين لم يحدث الا بعد طرد الهكسوس من مصر

خامساً — ان موسى لعب دور البطل السياسى لابساً ثوب القداسة الذى لبسه آباؤه منذ أبعد العصور ؟ .

اسماعيل مظهر

شعر التصوير

الصيرفي وزوجته

Le Banquier et sa Femme

الرسم لمتسيس (١٤٦٦م. — ١٥٣٠ م.) وهو من روائع متحف اللوفر

للصيرفيِّ إذا تَمعَّنَ نظرةٌ ... هي رُوحُه مبثوثةٌ في مالهِ

تجد الحُلِيُّ أمامَه أحلامَه ... وما لها متعلقٌ بمآلِه

فإذا البقاءُ لها بقاءُ شعورِه ... وإذا الضياعُ لها قرينُ زوالهِ

وكأنما الإمعانُ أكسبَ وجهَه ... طولاً، وكان التبرُ لونَ خيالهِ!

يتأمَّلُ المالَ العزيزَ كأنّه ... يتلو عبادةَ مؤمنٍ أو والِه

ويكاد يَحسب في الإطالةِ مُنتجاً ... كالذهنِ ـ بعد تأمُّلٍ ـ لنوالهِ!

هو كلُّ دنياه وأخراه معاً ... وجمالُ زوجتِه وأُنسُ عيالهِ

نظرتْ إليه وأمسكتْ عن نظرةٍ ... بكتابها، واستمتعتْ بمقالِه[1]

وكأنها قد زُوِّجتْ مِنْ مالهِ ... وخصالُها مقرونةٌ بخصالِه

وتوحَّدا بالمالِ حتى أصبحا ... مُتَمَثِّلَينِ في التكييفِ مِن أمثالِه

(١) مقال المال

ماذا تضيرهما مباءة عزلة ... وهما اللذان تنعما بجماله ؟
عرفا الحياة تفانيا فتفانيا ... بوجوده ، واستمليا بجلاله
واستغنيا بضيائه عن بسمة ... للحب ، واقتنعا بصدق خلاله
وترى الجمود قد احيالهما ، وما ... تدرى سواه ببالها وبباله
في حين أنك في ولوعك قانعا ... بالفكر أو بالفن أو « بمثاله »
ما كنت أسعد منهما في ميتة ... المال حولها مدى آجاله

أبو شادى

سيبويه والكسائى

في (سيبويه) إمام النحو تذكرة ... لليائسين ومن جنوا بتقدير
قد كان أول بان ، ثم ما برحت ... صروحه لخلود قبل تعمير
فاز (الكسائى) عليه من مغالطة ... فخاب في حكم عرفان وتفكير
والدهر أعدل قاض بعد ما خرست ... ألسن الأباطيل من بأس الدنانير

ابو شادى

على السفود



لـ عباس محمود العقاد

— ٢ —

قلنا إن هذا العقاد لص من أخبث لصوص الأدب لانه مع هذه اللصوصية يدعى دائما ملكية ما يسرقه ، ومع هذه الوقاحة فى الادعاء يحقد على كل من يملك شيئا من مواهب الله ، ومع هذا الحقد الدنىء لا يتصور الناس الا على أمثلة من نفسه . ولعله لا يعقل أن فى أحد من خلق الله دماً شريفا أو عرقاً ساميا، أو أخلاقا نبيلة، ومن أجل ذلك لا يعرفه عارفوه إلا أعمى الأخلاق ، كل ضدين عنده هما ضدان باسم واحد أو شىء واحد باسمين مختلفين كما يقول هو فى بعض تخليطاته . فقد رأينا له اليوم فى

مجلة « الجديد » مقالا عنوانه « ربة الجمال بلا يدين » لم نكد نقرأ أوله حتى ضحكنا من جهل هذا المدعى العاتي فهو يقول :

«كان هيني الشاعر الألماني يعبد الجمال ويعشق كل جميل . وكان من عبادته في جحيم ، أوقل في نعيم !!!

خذا بطن « هرشى » أو قفاها فانما كلا جانبي « هرشى » لهن طريق

فان الجحيم والنعيم في عبادة الجمال شيء واحد باسمين مختلفين كما أن « هرشى » طريق واحد من حيثما أخذتها ..... (١) وثق أنك اذا قلت النعيم وانت تعني الجحيم ، أو قلت الجحيم وانت تعني النعيم فلا لوم عليك ولا مخالفة للحقيقة !!! لأن جحيم الجمال ونعيمه كما قلنا شيء واحد ... ولانهما داران موضوعان على رسم واحد !!! وفي سعة واحدة !!! لا فرق بينهما داخلا و لا خارجا !!! الا اللوحة التي على الباب !!!»

• • •

عند هذا الحد ألقينا المقالة و اكتفينا من خلط الرجل بالكلمات الأولى ، اذ لو بقى المعتوه يتكلم من طلوع الشمس الى غروبها لكان كل كلامه ، باسم واحد ، طبعا .

وقد نبهنا هذه الكلمات الى الاصل الذى في نفس العقاد مما يجعل الاشياء كلها شيئاً واحدا في اعتباره لا على مذهب وحدة الوجود ، فهو أبعد الناس عن فهم هذا المذهب وان ادعاه ، لان فهمه لا يكون الا بأنوار البصيرة و بادراك التجلى الأقدس : يعنى لا يمكن فهم هذا المذهب الا بعد أن يتصفى الانسان من الرذائل كلها و يدرك بنور نفسه معنى النور الذى انبثقت منه نفسه . والعقاد كله رذائل وظلمات .

• • •

واذا كان هذا الرجل يعتبر الاشياء كلها شيئا واحدا — لا على مذهب وحدة الوجود فعلى أى مذهب إذن ؟ الجواب : على مذهب وحدة غريزته هو . لانه لو صح مايقال إنه ابن تسعة أشهر حقد وغيظ فالفضائل والرذائل وكل ضدين مختلفين لا فرق بينهما الا الاسم ، و في لغته هو : « الا اللوحة » !!!

وقبل أن ننتقل من بيان هذا الاصل نحلل الكلمات القليلة التى نقلناها عنه ليعرف القراء أنه لا يفهم ولا يكتب الا خطأ .

---

(١) ذكر هنا حكاية البدوى الذى تمثل بهذا البيت في حضرة عمر بن عبد العزيز فتركناها

إذا كان هيني يعبد الجمال فهل يعبده إلا لأنه يعشق كل جميل ؟ إذن فباقي الجملة حشو جرائد . « وكان من سيادته في جحيم أو قل في نعيم » . ان « أو » لاتأتي إلا لأحد الشيئين . وهو يريد هنا الشيئين معاً جحيما ونعيما، فلا معنى لاستعمالها وانما يتبع في هذا التعبير صغار المترجمين الذين يشتغلون بالترجمة الحرفية

ويقول كما أن « هرشي طريق واحد من حيثما أخذتها » فهرشي يا حضرة العبقري!! ليست طريقاً ولا معنى البيت يدل على ذلك ولا « لها » بطن (١) » كما تقول ، وانما تنقل نقلا عامياً وتفهم فهماً عامياً وليس فيك من العربية إلا كاتب جرائد لاغير .

أصل البيت « خذا جنب هرشي » الخ وفي رواية خذى أنف هرشي أو خذا أنف هرشي الخ وهي ثنيه أو هضبة لها طريقان ينتهى اليها من كليهما فمن سلكهما كان مصيباً . اذن هي ليست « طريقاً واحداً من حيثما أخذتها » يا عقاد .

والعجائب كلها في باقي العبارة وهي أسطر قليلة ولكنها تدل على ذهن جبار ، جبار ، جبار !!!

رأينا مرة فتى يريد أن يظهر مظهر رجل مفتول العضل فحشا كيه وصداره (شراميط) !! عضلات بارزة مكتنزة ، لكنها عضلات من شراميط !!

هكذا من يظن العقاد جبار الذهن ، والحقيقة أن الرجل جبار الغريزة منذ كان دودة إلى أن كان جنيناً إلى أن كان انساناً فيختلط الأمر في وقاحته وادعائه وسلاطته على الضعفاء أو على الجبناء . ولكن الذي يعرف العضلات التي تخلع مع الثياب !! يصفع صاحبها الجبار مطمئناً ، لأنها عضلات من شراميط .

طيب !! « جحيم الجمال ونعيمه شيء واحد » فما معنى « لأنهما داران موضوعتان على رسم واحد » وهل داران على رسم واحد تكونان شيئاً واحداً وتأخذ الحكومة عليهما عوائد واحدة !!! يا أصحاب الأملاك وكلوا هذا المحامى الجبار الذهن ليقنع الحكومة بهذه الفلسفة !!

---

(١) إذا كانت هضبة أو ثنية أى أرضاً مرتفعة فكيف يكون لها بطن ؟ ولكنه وجدها محرفة ممسوخة فنقل من غير تمييز كعادته وحكاية البدوى التي نقلها ممسوخة أيضاً وأصلها الصحيح في معجم يا قوت.

وإذا كانا دارين فلا معنى لأن يقول الجحيم والنعيم ، لأن النعيم هذه من تعبيرات العامة وإنما تأتى مضافا إليها فيقال جنة النعيم ودار النعيم بخلاف الجحيم فإنها هي الدار. ثم الداران فى سعة واحدة بعد أن قال حضرته أنهما على رسم واحد . العقاد إذن مهندس ممن اشتغلوا فى الجحيم والنعيم ومساح أيضاً موظف فى ديوان المساحة الذي وراء الطبيعة !!! وأكثر من ذلك يظهر أن هذا الصعلوك من كبار أرباب الأملاك السماوية فأراد مرة أن يشترى الجحيم والنعيم فتفرج عليهما فإذا هما « لا فرق بينهما داخلا ولا خارجاً إلا اللوحة التي على الباب » .

طبعا طبعا هذه اللوحة كان مكتوبا عليها : جحيم ونعيم للبيع !!! لالا ! بل هي كما يظهر من معنى كلام الجبار لوحة من الرخام كتب عليها دار الجحيم . دار النعيم !!!

وإذا كان هناك « باب » عليه « اللوحة » فكيف صارتا دارين ؟ كان ينبغي أن يكون هناك بابان عليهما لوحتان ولكن يظهر أن العقاد رفع دعوى يطلب الحكم فيها بسد أحد البابين لأنه يفتح على ملكه الخاص فحكم بسده وأزال اللوحة التي كانت عليه وحينئذ صارتا دارين بباب واحد !!

أفتونا أيها القراء : أهذا جبار الذهن ؟ أهذا كاتب ؟ أهذا أديب ؟ أهذا يفهم بيان العربية ؟ أم هي صنعة جرائد ثم مغفلون من الكتاب لمغفلين من القراء ؟

***

وتظاهر العقاد باحتقار الأدباء — مع أنه فى نفسه يغلى حقدا وحسدا — طريقة مسروقة يقلد فيها الكاتب الإنجليزي الشهير « برنارد شو » الذي يقول إنه لا يجد عقلا يستحق احتقاره إلا عقل شكسبير !!!

ولكن انظر الفرق بين الأصل والتقليد . « برنارد شو » يحتقر النوابغ من جهة عقلية فلا يحسد ، والعقاد من جهة نفسية فلا يعقل ، والأول يضع الآراء ويبتكرها والثاني يسرق ويدعى ، وذلك يحتقر احتقارا ساميا أساسه التظرف وهذا دنيء دنىء أساسه الحسد ولؤم الطبع ، والعامية الثقيلة الآتية من الشوارع تلك التي توهم أهلها أن الأسمى لابد أن يحتقر الأدنى ، فإذا تظاهر العامى الوضيع باحتقار رجل شريف أو نابه كان ذلك فى منطقه دليلا مقنعا للناس أنه هو الأسمى والأشرف والأعظم !!!

فالعقاد لص حتى فى الصفات .

ومع ان برنارد شو ذكى نابغة فقد خرجوا من نقده وتحليله بأنه كالمخدوع المغرور أو مخدوع مغرور على الحقيقة يمتاز بنقائص وعيوب اختص ببعضها وشارك الناس فى بعضها ، وان ثقته بنفسه تفقد الناس الثقة به فقد يعتقد أنه جاء بالكلمة الأخيرة فى الموضوع الذى يعالجه فى حين ان النقاد يكونون مقتنعين بأنه لم يفهم قط ، وينتهى من ذلك الى أسخف الآراء وأبعدها فى الخطأ مكانا ، بحيث يرجع احيانا من شدة سموه الذى يتوهم وليس فيه الا رجل عامى سطحى ضعيف .

***

هذا فى برنارد شو الذى ولدته أمه برنارد شو ، فكيف الحال فى لص مقلديه وبين شو مثل ما بين اسوان ولندن ؟

ولكن لو سألت العقاد فى هذا لما كان شيء أسهل عليه من الجواب ، فانه يقول ان اسوان ولندن شيء واحد لافرق الا اللوحة ، وبرنارد والعقاد شيء واحد لافرق الا . . . واقه ما انا عارف الا إيه ... قول الا إيه يا عقاد ؟!

وما دمنا فى بيان سوء فهم هذا المغرور فنقول ان بعض الأدباء سألنا عن رأى نشره العقاد فى مجلته الجديدة يعلل فيه ميل ابن الرومى إلى الهجاء ، وإقذاعه فيه وإفحاشه فى السب وذلك حيث يقول العقاد فى تلك المقالة : « فالرجل (ابن الرومى) لم يكن شريرا ولارديء النفس (خذ بالك من رديء النفس) فلماذا إذن كثر هجاؤه واشتد وقوعه فى أعراض المهجوين ؟ نظن أنه كان كذلك لانه كان طيب السريرة » انتهى بحروفه.

نقول إن صح هذا صح مذهب التناسخ ويكون ابن الرومى قديما هو هو عباس محمود العقاد اليوم ، جاء كما كان من قبل تماماً !!! جبارا عند نفسه وقحاً عند الناس .

***

يقول العقاد « كان ابن الرومى هجاء مقذعا فى الهجاء وكان لأهاجيه أثر كبير فى حياته وفى شهرته (تأمل) » والواقع أن ابن الرومى لم يدع أحداً من التابهين فى زمانه إلا هجاه أو أنذر بهجائه . هل كان ابن الرومى شريراً لانه كان كثير الهجاء ؟ لا . بل هو لو كان شريراً لما اضطر الى كل هذا الهجاء ، أو لو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء .

لأبناء عصره . ما كان هجاؤه يشف عن الكيد والشكاية كما كان يشف عن الحرج والتبرم » . هذا كلام جبار الذهن المضحك وقد وقفنا من نقله عند كلمة الحرج لأنها أذكرتنا ماحدث به بعضهم من أنه لام العقاد يوما على حقده وكلبه فى أن هذا عجز منه وضعف ، لأنه لو كان قويا لنازل وصارع وأعطى كل ذي حق حقه ، فان القوة تعجب بالقوة وتقر لما هو أقوى . وقال له إن المتلاكمين أو المتصارعين يتصافحان على الحلقة ثم يتلاكمان . وقد يقع أحدهما ثم يعودان صديقين لأنهما فى قانون القوة الانسانية لا الوحشية . فقال العقاد : أنا طيب السريرة ولكن الناس يحرجونني أحيانا . كل كلام الرجل عن ابن الرومى هو من كلامه عن نفسه لذلك الأديب، فلؤم ابن الرومى وسبابه وافحاشه وبذاءته وهجاء كل من مدحهم ووقوعه فى الأعراض ، كل ذلك لأنه طيب السريرة !!!

تعالوا يا علماء الاخلاق والآداب فخذوا هذا الاكتشاف الجديد عن جبار الذهن الذى لا يعرف ماهو الهجاء فى الشعر العربى ولا ما هو تاريخه، وأصلحوا لغات العالم كلها فى تحديد معنى السفاهة والبذاءة وفحش القول ولمس أعراض الناس ، فقولوا إن كل ذلك معناه طيب السريرة !! على ماحققه جبار الذهن المسمى عباس العقاد!!

***

لقد سئمنا هذا الهذيان من هذا السخيف ولكن أنظر التركيب العربى فى كلامه لتعرف أنه هو لا يفهم ما يكتبه وله من مثل هذا كثير جداً . يقول ان ابن الرومى لم يكن شريرا لأنه كان كثير الهجاء . ثم يقول لو كان شريرا لما اضطر إلى مثل كل هذا الهجاء . والمعنى فى العبارتين ان كثرة الهجاء دليل قاطع فى نفى الشر عن الرجل . ثم يقول «ولو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء » وهذه العبارة قاطعة فى أن ابن الرومى كان شريرا لان أفعل التفضيل (أكبر) لا يذكر فى الكلام إلا لتحقيق الزيادة فى صفة يشترك فيها شيئان ويزيد أحدهما فيها على الآخر . فالمعنى بهذا التركيب ان ابن الرومى شرير، ولكنه قليل الشر لأنه كثير الهجاء !!! ولو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء .

اذن فالعبارتان السابقتان لغو لا معنى لهما الا ثرثرة جرائد ساقطة لا تميز الصحيح من الفاسد ، وهما دليلان لا دليل واحد على ان العقاد كاتبا ، كالعامى قارئا

وفي هذا المقال الذي سأنا عنه الأديب يفسر (جبار الذهن) بيتاً لابن الرومي هو قوله:

لا يغضبن لعمرو من له خطر فليس يرضى بظلمي من له خطر

قال (جبار الذهن): كأنه يقول لقد صبرت على عمرو فرضي الناس بظلمه إياي فاذا هجوته أنا الآن فما يحق لذي خطر أن يغضب له وهو منصف بيني وبينه (١)

ماذا فهمت أيها القارىء من (جبار الذهن) في تفسيره؟ أين صبر ابن الرومي على عمرو في هذا البيت الذي ترتب عليه رضا الناس بظلم عمرو لابن الرومي؟ ثم معنى ترتيب رضا الناس على صبر الشاعر - بدليل استعمال الفاء في قوله فرضي الناس - يفهم منه بدلالة اللزوم انه لو لم يصبر ابن الرومي لغضب الناس على عمرو ولم يرضوا بظلمه للشاعر. فاذا كان كذلك فلماذا صبر ابن الرومي وهو يملك هذا السلاح الماحق، سلاح الرأى العام الذي أنعم الله عليه به بعدموته !!! بأكثر من ألف سنة على يد جبار الذهن؟

صبر ابن الرومي على الظلم فرضيه الناس له. فاذا نفد صبره الآن وهجا عمرا فلا يحق للناس أن يغضبوا لعمرو اذا كانوا منصفين. هذا هو وجه العبارة لو كان العقاد يحسن الكتابة. ولكنه خلط فجعل الناس يرضون جملة بالظلم ثم لا يغضب منهم حين الغضب الا ذو خطر، وجعل ذا الخطر هو الذي ينصف وحده حين قصر عليه الجملة الحالية. وهذا من تلفيق الرجل وتعمية على القراء ليوافق كلامه ألفاظ البيت، اذ لو قال رضي الناس ولا يحق للناس أن يغضبوا لتعرض للفضيحة لأن الشاعر نفسه لا يريد الناس بل من له خطر منهم.

ويبقى انه يلزم من تفسير العقاد أن الناس في عصر ابن الرومي كانوا على هذا الشأن فيما بينه وبين عمرو فقط واهملوا أمره مع كل من هجاهم وكل من ظلموه وكل من صبر عليهم. وهذا (فتح جديد) في التاريخ ويجب أن يضاف الى اكتشافات العقاد ولعله كان كذلك لأنه عمرو بن أم عمرو الذي قال فيه الشاعر

اذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار!

نحن على يقين أن هذا العقاد ضعيف الفهم وهو يهرب دائما من التفسير في الآداب العربية لهذه العلة، فان وقع مرة وقع على أم رأسه كما ترى في هذا البيت. ومع أن الكتب

---

(١) مجلة الجديد عدد ١٣ مايو سنة ١٩٢٩

الاوربية التى يغير عليها كثيرة الشروح والتعاليق والنقد ، فله سخافات فى فهم الآراء الدقيقة منها كما سنبين ذلك . وماغطى عليه الا أنه دائما يسرق وينتحل ولا يبين الأصل الافرنجى الذى يغار عليه .

***

معنى بيت ابن الرومى هو هذا : ان عمرا ذليل لا خطر له ولا شأن ، ولذلك لا يغضب له من له شأن ونباهة ، فان من كان بهذا الوصف لا يرضى بظلمى لمنزلتى عند ذوى الخطر ، وانما يرضى بظلمى السفلة وامثالهم من الحشوة والطغام الذين لا يدركون قيمة الشعر وشاعره وليس لهم أعراض ولا مناصب يخافون عليها الهجاء على حد القول المشهور :

اذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل!

وكل تاريخ الأدب العربى فى باب الهجاء ناطق أنه لا يخاف الهجاء ولا يتحاماه إلا ذو خطر ، من عرض ونسب وجاه الخ .

هذا على اعتبار ان «لا» فى قوله (لا يغضب) نافية فاذا كانت للنهى كان المعنى هكذا : لا يغضب ذو خطر وشأن لعمرو لان ذا الخطر يخشى ويخشانى فلا يرضى بظلمى فلا يغضب لمن ظلمنى .

وعلى كلا الوجهين فأساس البيت هوان عمرو على الناس وفخر ابن الرومى بصولته وخشية ذوى الأحساب والجاه من لسانه وهجائه .

نحب الآن أن نعرف من هو أجهل الناس وأبلدهم وأشدهم جبنا ؟ فان صاحب هذه الصفات هو الذى يجرأ على المكابرة بعد هذا البيان أو يقول إن العقاد يفهم الشعر ويغضب لعمرو !!!

***

ونعود الى نظرة سريعة فى شعر جبار الذهن وهذا الجبار أهون علينا من أن نضيع الوقت فى قراءة شعره أو كتابته . انما سبيلنا أن نفتح أية الصفحات من ديوانه أو عددا يكون أمامنا من مجلة « الجديد » التى يكتب فيها الآن فانا لتراكم الاعمال لا نقرأ المجلات الا بعد صدورها بزمن . ولكننا نقرأ ما نحبه منها على كل حال ومنها مجلة « الجديد »

على غلاف ديوان العقاد هذه الكلمة (أربعة أجزاء فى مجلد واحد) والديوان ورق لا يساوى ثمن تجليده ولم يخرجه صاحبه مجلدا فما معنى (مجلد واحد) وكلمة مجلدة أو مجلد لا تستعمل الا فى الكتاب يغشى بالجلد لأنها من جلد ، أى وضع الجلد عليه . واذا صح ان كل مطبوع يسمى مجلداً جاز حينئذ ان يكون معنى العبارة (اربعة مجلدات فى مجلد واحد !!!) . هذا أيضا من جهل الجبار لانه يريد فى سفر واحد أو كتاب واحد أو مجموع واحد.

وبهذه المناسبة رجعنا الى أوائل الأجزاء فاذا اسم الجزء الاول «يقظة الصباح» والثانى «وهج الظهيرة» والثالث «أشباح الأصيل» والرابع «أشجان الليل» وهذه الأسماء لم تكن من قبل حين طبعت الأجزاء قديماً وانما لفقت حديثاً فى السنة الماضية عند طبعها «فى مجلد واحد».

حسن جداً وجداً حسن. ولكن من أين جاء هذا التخليط ؟ يقول جبار الذهن فى كلمة الختام «فاذا قرأ القارئ، فربما وجد فى أشجان الليل ما هو أخلق بوهج الظهيرة !! أو جد فى يقظة الصباح ماهو أخلق بأشباح الأصيل» !!! الجبار إذن يقر بالتخليط ويعترف به لأنه لا يستطيع أن يكابر أن كل نظمه هراء فى هراء . فاذا كان هذا الخلط واقعاً معترفا به فما معنى هذه الأسماء ؟

معناها أن العقاد رجل دعوى وتدجيل وغرور، فيسرق ويدعى الملكية وهو يعترف أن الأسماء ليست على مسمياتها ، إذن فهو لم يضعها لأنه لا يخطر لمؤلف أن يضع اسما على غير مسماه ، إذن فهو قد سرقها وهذا هو الصحيح .

وضع الشاعر الفرنسى الكبير ملكربور دفوجيه Melctior de Vogué عضو الاكاديمية الفرنسية رواية شعرية سماها (جان داجريف) Jean'Agrève وجعلها أربعة أناشيد لأنها تصف حياة حب بديع من بدئه إلى منتهاه ، ومن أمله إلى خيبته وسمى النشيد الأول (الفجر) والثانى (الظهر) والثالث (الأصيل) والرابع (الليل) لأن فى الأول انبثاق نور الحب والثانى توهجه والثالث تخافته والرابع ظلامه وفناؤه .

أسماء على مسمياتها كما ترى، وهو فى كل نشيد يبدع فى التصوير والقصة والحادثة، ولا

يعدو الحد الذي يفصل بين الاسمين ، بل يمر بالقصة وحوادثها ومعانيها كما تمر الشمس إلى أن تغيب وتظلم الدنيا وتموت الحبيبة في ناحية والمحب في ناحية أخرى .

ومع اعتراف جبار الذهن أن هذه الأوضاع لا تنطبق على سخافاته التي سماها « أربعة أجزاء في مجلد واحد » فإن طبع اللصوصية المنغرس فيه أبى عليه إلا أن يسرقها ويدعيها ويذهب في تعليلها تدجيلا وتعمية على القراء . وهذا كله صريح في أنه لص مخادع مدع لا يحترم نفسه ولا الناس ولا الحق ولا الحقيقة .

عجيبة عجيبة . نفتح الآن صفحة ١١٣ من « يقظة الصباح » !!! فماذا نرى ؟ تهنئة بعيد :

عثمان يا عيد من يحظى بصحبته بلغت ما شئت في الأيام والناس
أولى الأنام باسعاد وتهنئة من كان كالعيد في بشر وإيناس

إذا بلغ الحرص بشاعر على أن يثبت في ديوانه مثل هذين البيتين فقل فيه ما شئت ولا تبال واعلم أنك مصيب في كل ما تقول .

وقوله (يحظى بصحبته) غلط يتابع فيه العامة وبعض كتاب الجرائد المنحطة لأن الحظوة المكانة فتقول حظيت عند فلان وحظيت المرأة عند زوجها والعامة — ومنهم العقاد — يظنونها بمعنى تشرف فيقولون حظينا بلقاء فلان وبصحبته أى تشرفنا ولا معنى لها . وإنما تجوز بعض المتأخرين فقال حظيت بالمال . فإن كان جبار الذهن شحاذاً وكان يريد من قوله يحظى بصحبته أى يحظى بماله جاز له هذا الاستعمال .

فاما أن يقر بالخطأ وأما أن يقر بالشحاذة

* * *

ومن سخافة ذوقه جبار الذهن ، أنه يدعو على الناس في يوم العيد لأنه يدعو لعثمان أن يبلغه الله ما يشاء فيهم . وماذا يشاء عثمان في الناس ؟ أيجعلهم عبيداً له أم يأكل أموالهم أم ينكبهم وينتقم منهم ؟ ان العبارة نفسها في هذا التركيب لاتقال الا في الشرفاء إنك تقول لانسان بلغك الله ماشئت في أعدائك ولا يمكن أبداً أن تقول بلغك الله ماشئت في أصدقائك وأصحابك اذ لايشاء (فيهم) ولكن يشاء (لهم) .

ومعنى البيتين مبتذل متداول على ألسنة الناس حتى العامة وقد مسخ المتشاعر كلام المتنبي في تهنئة سيف الدولة بعيد الأضحى فقوله :

هنيئاً لك العيد الذى أنت عيده … وعيد لمن سمى وضحى وعيدا

فذا اليوم فى الأيام مثلك فى الورى … كما كنت فيهم أوحدا كان أوحدا

المتنبي جعل أميره عيدا للعيد ولأهل العيد، والمتشاعر جعل عثمان!! عيد من يحظى بصحبته .والمتنبي جعل يوم العيد فى تفرده مثل الأمير فى كونه أوحد الناس،والمتشاعر جعل عثمان (كالعيد) فى بشر وإيناس وزمارات ولعب وكحك وغريبة!!!
ن الاهانة للمتنبي أن نقول ان العقاد سرقه وان كان سرقه، ولكنا فى كل مانذكر من سرقات هذا المتشاعر ، الجبار ، لانريد الا أن يقابل القراء بين الشعر الحقيقى فى قوته ومتانته راحكام صنعته وبين الشعر الزائف المنحط فى سخافته وركاكته مع انه مسروق من ذاك!! فلو سرقه شاعر حقيقى يستحق اسم الشاعر لجاء به على الأقل فى طبقة الأول ان لم يكن أبدع واسمى منه .

فاذا كان ،جبارنا، المضحك يسرق ومع ذلك لايجيئنا الا بالسخيف الذى لايذكر بجانب الأصل فانه ... فانه إيه ؟..

فانه سيف نجار!!! نقله … من زنده عضلات من شراميط

***

(حاشية) فى عدد شهر يوليو الماضى من العصور مقال عن ،أشتين المفهوم، بين صاحبه غلطات كاتب لم يذكر اسمه فهذا الكاتب هو هو جبارنا حامل السيف الخشبى .

شيطان بنتؤور

تفضل أمير الشعراء بأن ينشر كتابه (شيطان بنتؤور) على صفحات المصور اختصاصاً لها بهذا الفضل قبل أن يخرج للناس في صورة كتاب . ونحن نبدأ بنشر هذه القطعة الخالدة من الأدب المصري ، راجين أن يتم طبع الكتاب في أقرب حين ، ليكون في متناول الأدباء في أنحاء العالم العربي ، فيصبح للأديب منهلا ، وللمتطلع موردا ، وللمطلب مثالا ، وللوطنية نموذجا أعلى .

الحادثة الاولى

حكى الهدهد متنيء الاباه ، وشيطان بعض الشعراء ، قال أكثرت مخالطة الناس حتى ندمت ، وأطلت النظر في الكتب حتى سئمت . واشتقت الى عبرة مرموقة موموقة ، وحكمة من نفسها مسوقة ، آخذها ولو من سوقة ، لا مطروقة ولا مسروقة . فخرجت الى الاهرام في وقت من أوقاتنا الموصوفة ، ويوم من أيامنا المختارة ، ذهب نهاره الا أواخره ، وتناوب على الجو صاحيه وماطره .

تعرض الغيم فيـه للشمس في كل مسلك
تروغ منـه فتبدو وتختفي حينا تدرك
والأفق تحته وتمشيا به كالطفل يبكي ويضحك

فبلغت فضاءها واذا ذهب الأصيل عليه يزهو آونة ، ويصدأ بالغيم آونة ، والشمس صفراء في الأفق منكسرة الاشعة ، قد كادت ولما تفعل ، كأنها عين الاشقر الأحول . فوثبت الى الهرم الاكبر ، وحططت فوق حجر ، ثم تقصيت النظر ، فكانت فاتحة العبر ، وباكورة العظات الكبر ، أن رأيت السياح حوالي الأثر ، يرتعون في الاصيل ويلعبون ، وينزلون عن الابل ويركبون ، وقد ضفت عليهم ثياب الكبرياء ، وجروا ذيول الزهو والخيلاء . فغضبت من رؤيتهم على هذه الصورة ، وعبثهم في القبور بعد عبثهم بالجثث المقبورة : فقلت

«أيتها الحجارة الخالدة : اسخري من هؤلاء كما سخرت من قمبيز وخيله ، واستهزئي بهم كما استهزأت بنابليون وجنوده » .

ثم خرجت من الغضب فأبصرت ، وتألفت ما كنت أنكرت ، وما زال الغضب يعمي صاحبه ، ويضل راكبه ، ويريه صدور الامر ولا يريه عواقبه . ابصرت فرأيت

الغادى والرائح ، والترجمان بجانب السائح ، ولم أر من باك ولا نائح ، ولا مهيب بالجندل والصفائح ، يجيبه صدى من جانب القبر صائح . فرجعت فى أمر القوم الى الرضى وقلت : أنما يزورون قبور الفراعنة فى مصر ، كما تزار قصور الملوك فى هذا العصر . وذكرت ساعة قضيتها فى قصر (وندسور) منذ سنين ، والملكة يومئذ فى الحياة لا تخرج الشمس عن طرف ملكها، كأنهما حاشيتا النهار ، فدخلت المقاصير وتنقلت فى الحجر ، ورأيت فراش الملكة وقد هجرته ، كما ينظر هؤلاء إلى مراقد الفراعنة ، وقد نقل ما فيها إلى دور التحف وحيل بين ذلك اللؤلؤ وهذا الصدف . فرحم الله المصريين القدماء ، لولاهم ماذكر مصر الذاكرون ، ولا ظلت كعبة يزورها الزائرون .

مضوا والدور باقية وأودوا وليس شخوصهم بالموديات

فاذهبوا ولكن فى اغتراب وما ماتوا ولكن فى سبات

(قال) ثم وقفت أتأمل قبور الملوك العظام ، واذكر عبث الأنام لا الأيام ، وأعجب للاهرام ، وهى من عمل الأسرة الرابعة و بنيان المصرى فى أول عهده بالحياة ، وبداية دخوله فى الحضارة، كيف رسخت فى الارض رسوخه فى العلم ، ووقفت للدهر وقوفه فى الفن ، وكلما تأملتها جرت العبرة عن النظرة ، والعظة عن اللحظة ، فرأيت النعيم كيف يزول ، والحال كيف يحول ، والدولة كيف تدول ، والملك الكبير الى م يؤول ، و بعث الموقف منى فقلت:

لما رأيت قبورهم كلت قنا فيها لناقد

وكأنها نهد الثرى وكأنه مذكان ناهد

بليت رواسيه ولم تبل العظام ولا المراقد

وهوت حواليها الهيا كل والكنائس والمساجد

وخلت ممالك وانطوت دول زواهر كالفراقد

أيقنت أن المرء بعد الموت بالآثار خالد

وأدمت النظر الى الاهرام لا لعظم فى الجرم وفخامة فى البنيان ، ورسوخ فى الأرض وطول زمان ، فان استعظام رؤية الأجرام من خلائق الصبيان ، لكن كرآة أرى فيها قدماء المصريين كما هم فى الأعصر الأول ولما لم يكتملوا دولا أربع ، فلا أرى الا صوراً واضحة وأشباحاً قويمة ، ثم أنظر فيها المصريين الأحياء ، وكأنما أتأملهم فى

مرآة محدبة مقعرة ، صور ممسوخة ، وأشباح ممزوجة ، وأعضاء كمختلط الاشلاء ، من ضياع التناسب ، وما اختلف الزجاج لكن هي الأخلاق ، تحسن وتقبح ، وتعلو وتسفل وتقوم وتعوج ، وتريك من قوم مالا تريك من آخرين . ما أبعد ما بين الأصل والفرع ، وشتان ما بين الوالد والمولود . ذلك قبيل شاد وساد ، وأجار من البلى الاجساد ، ونشر سلطانه على البلاد والعباد ، وأخذ لآثاره من بعده ميثاقا من الآباد ، حياته للموت وموته للحياة ، يعمل للذكر ويهيء للاحاديث ، ويترك للابناء ويعلم أن السير حياة ثانية في هذه الدار الفانية ، وان ليس الموت إلا سفراً من الاسفار ، ونقلة من دار إلى دار

ولا يستوى ناء يعطل ذكره   وآخر مذكور بكل لسان

ونحن معشر الابناء فيما نزعم ، وذرارى المصريين القدماء فيما نتوهم ، أمة نيام لا تعرف الملك إلا فى الاحلام ، كأنا ولاة العهود ، شابوا وآباؤهم قيام ، يومنا يوم العاجزين ، وغدنا غد اليائسين ، وأمسنا لا للدنيا ولا للدين . معنى الحياة عندنا شيء باطل ، وطرفاها نعيم زائل ، وماهيتها أيام قلائل . لا ندخر صالحات ولا باقيات ، ولا نرجو علوا فى حياة ولا ممات ، يترك أحدنا لولده من وجده ، ولا يترك لهم من مجده .

قال الهدهد : ومالبثت الشمس ان غربت عن بلاد وطلعت على بلاد بآفاق فى مهرجان وأخر فى حداد ، فحدثت نفسى بالاياب ، فرارا من وحشة الظلماء . لكني ماهممت حتى شعرت بانتفاض طائر من الجوارح ، وسمعت هاتفا يقول : يامنادى الحجر ، ومناجي الأثر أخطأتك مصدوقة الخبر ، وغابت عنك أمهات العبر . هلا قلت فى شكوى الحال ، ونجوى هذه الاطلال :

يا أيها الهرم المنحوت من زحل ∘ صب النحوس علينا أنت والزمن

هوى حواليك ملك لا قيام له ∘ وغيبت فى ثراك الأربع المدن

وأمسك الهاتف عن الكلام ، فالتفت مذعورا لعلى أرى على المكان شبح انسان او خيال شيطان ، فلم أر غير نسر ، مستجمع فى وكر نسج عليه الدهر ، وهو يرنو بصفراوين كالتبر ، فى كلتيهما انسان كنقطة من حبر . فدنوت منه وتأملت فيه ، واذا هو قد وهن منه العظم وتناثر الريش من الكبر ، وشد منسره إلى ساقيه بأسباب من

الهرم ، وأكل على جوجئه الزمن وشرب القدم. فقلت لعله نوح النسور ، أو بعض ما حمل نوح معه من الطيور . وابتدرت خطابه فقلت :—

« سلاما أيها الشيطان ، ان كنت لبد لقمان ، فانى هدهد سليمان » قال النسر واستضحك « افتريت على النبيين والطير ، وانتحلت لى ولك ما للغير . أنا آدم الشعراء ، ولا اطراء ، وأول من نطق بالقافية الغراء ، فوق هذه الغبراء »

قال الهدهد : وكنت لم افقه ما رمز اليه ، ولم أعلم مراده من بيتيه ، فبشرت نفسى وقلت شيطان قديم ، فلأعلن منه مالم أعلم وفوق كل ذى علم عليم . ثم قلت اخاطبه : « الايلم ايها النسر مدارس الاحلام ، ولا يستوى فى العلم كهل ولا غلام ، فلا أستحى ان أسألك من أنت ، فقد استبهم على ما بينت »

قال : أنا من سميت فى قريضك ، وكرمت فى شعرك ، وبعثت فى قوافيك ، فضلك لا أنساه ، وما كنت تراني لولاه . قلت

لئن صدقت مزاعمى فانت الروح الاكبر ، والشيطان الأشهر ، والنسر المعمر ، بنتؤر شاعر الملك رعمسيس ، وحامل لواء البيان فى طيبة ومنفيس . قال إنه أنا وانى بك لقرير . كنت اراك تسمع لواعظ الدهر فوق هذه المنابر ، وتجمع الخير والخبر عن ذلك الملك الغابر ، والسلطان الغائب الحاضر . وجدير بأقدم المقابر ، ان تعظ الزائر والعابر . فهمست فى اذنك باليدين ، أريد ان اريك مالم ترعين : انظر كيف ترى « منف » ؟ قلت أطلال بالية ، ورسوم عافيه ، عندها قرية كبعض القرى ، لا تكاد تحسب من الثرى . قال فكيف « عين شمس » ؟ قلت مزارع ورمال ، لاجلال عليها ولا جمال . قال فانظر « الفسطاط » كيف تراها ؟ قلت بيوتات واديره ، وتلال مستنكره. قال فا هذه البلدة الزاهرة ، والروضة الناضرة ، والدرية السافرة : ؟ قلت مدينة القاهرة. قال لمن هى : ؟ قلت لغير أهلها . قال هى اذن فى حكم المدن الغابرة . عواصم أربع كن مقار دول ، وكراسى ممالك ، وقواعد حكومات تغير أحداهن الشمس بابهة الملك ، وعظمة السلطان : حضرت الاهرام يومها وأمسها ، وشهدت مصرعها وكانت رمسها ، فاسأل ربك لقومك ان يكفيهم نحسها . قال الهدهد : فأطرقت أتامل فى معانى هذه الكلم الجوامع ، واتدبر مغازى الحكم الروائع ، وانا أستعرض كرة الارض فى خاطرى ، واقلب صفحات التاريخ فى فكرى ، فلا أجد لقضاء الاهرام مثلا فيما وصفه النسر عليه ، الى ان اخرجنى من اطراق بأن قال :

، أرى الهدهد بين عبرة جلت ، حين تجلت ، وفكرة فى المدائن الاربع كيف تولت . فهل لك فى كلمات تمثلك وقومك فى الظلمات ، وتريك الامم فى حال ذهابها كيف ينقصها الآلهة من اخلاقها وآدابها اقلت ، لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، انى اراك فى ضلالك القديم . قال قطعت حديثى لأمر لا يعنيك ، لك ما تعبد ولى ما اعبد ، ولا يزر النسر وزر الهدهد . فان كان لك فى الصحبة فعلى ثلاث . ان لا تجرى الأمور على هواك ، وان لا تنظر فيها بمقتضى طباعك ، وان لا تأخذها ولا تسأل عن اسبابها . فهذه الثلاثة تخرج من العلم الى الجهل ، فكيف تخرج من الجهل الى العلم ؟ قلت ذلك لك يا شاعر الآلهة ، فأنجز الآن ما وعدت . قال هلك الفراعنة وخلت الاسرة منهم وذهبت دولهم ، ونبشت قبورهم ، وعرضت جثث عزت عليهم ، على الناس . مأتمهم بينكم معاشر المصريين قائم لا ينفض ، وما مقعدكم منه إلا كالمعددة تبكى ولا دمع ، وتندب ولا حزن ، وتهتف بما لا تعرف من أخلاق الميت وصفاته ، وسنة سارها فى حياته . يفخر أحدكم بالعظم الرميم ، ويتحلى فى حديثه بالمجد القديم ، ويبرح وهو عطل من الغنى عديم — بما بلغ غيره من اليسارة والنعيم . فاذا ذكر المصريون القدماء ، رفعتم الأنوف للسماء ، وزعمتم أنكم سلالة الفراعنة العظماء ، لكم التاجان وعرشكم على الماء . واذا جرت أحاديث العرب قلتم بيننا أقرب النسب ، ولنا ما تركوا من حسب ، وما هو إلا سبب قطعتموه ، ودين ضيعتموه ، ولسان عربى بالعجمة بعثتموه . واذا سمى جد الأتقياء ، وواسطة عقد الانبياء ، كنتم كلكم لآلئ الشرف ، وما خرج قط خزف ، من ذلك الصدف . واذا نصر الترك فى حرب ، وتركوا دويا فى الشرق والغرب ، كنتم السيوف والا كف والضرب ، وما ذقتم لها من حرب ولا كرب . واذا مات ملك ليس منكم ولستم منه ولا يسأل عنكم ولا تسألون عنه ، وخلف لقومه سيرة تسير كالأمثال ، وخلى مفاخر لن تبيد ولن تنال ، كنتم المؤبنين الشعراء ، لغيركم الميراث وعليكم الرثاء .

قال الهدهد : وبينا أنا فى الاصغاء ، آخذ الحكمة الغراء ، عن آدم الشعراء ، اذ قطع الحديث ، وتركنى مفكرا فى كل ماهاج بى ذكره من قديم حديث . ثم صرفنى على أن التقيه فى منف أصيل الغد ، وان غدا لناظره قريب .

المحادثة الثانية

قال المدهد . فأقلعت للطيران ، أؤم عشى فى حلوان ، وأنا كلما مر به غرام ، على منازل الآرام ، يتلفت قلبى إلى تلك الأجرام ، و يعز على نفسى أن تفارق الأهرام . ثم جاشت فى صدرى هواجس ، وامتلأ خطرات من الوساوس . فتمنيت على فئة غير هذه الفئة ، وأملت من حكام مصر بعد مئة ، أن يتخذوا من الاهرام مقابر ، للنفر الانفعين الأكابر ، فيدفن فيها الجليل والعزيز ، كالبنتيون فى روما وباريز . أمنية إن شئت عدها سخافة . وان شئت قل حديث خرافة .

من لى بان تجعل الأهرام مقبرة ٭ كالبنتيون لأهل الفضل والفطن
مفتوحة لوفود الأرض قاطبة ٭ يزورها الناس من شام ومن يمن
مغيبين من الأجلال فى جدث ٭ مدرجين من الأعظام فى كفن
مسطورة بعناب التبر فوقهم ٭ آثارهم والذى أسدوا من المنن

تخيلت ، ثم خلت الأمر قد تم ، وأعلنت الحكومة مشيئتها فيه وصدر الأمر العالى به ، ولم يبق إلا العمل بموجبه . فانشئت الأضرحة الفخيمة ، فى تلك الحجر القديمة ، وأقيم الحراس على أبواب الأهرام ، وكتب على مداخلها بماء الذهب لعظماء الرجال شكر الأوطان ، وقيل هذا القبر فأين الميت ؟

قال المدهد : خطرات شاعر وأمنية شيطان ، فمن حضر بعده تحقيقها فليذكره ، ومن علم بها ولم يرها أبرزت من القول إلى العمل فليعذره . ثم بلغت عشى فنمت ناعم البال مغتبطاً بما وعدت من لقيا النسر ، كأنما وعدت ملكاً كبيراً . فلما أصبح الصبح قطعت نهارى متململا حتى الأصيل ، وأنا لا أدرى ماذا عنى النسر بعنف ؟ أهذه القرية أم تلك المدينة ؟ وهل موعدنا منفيس أم ميت رهينة ؟ حتى إذا ذهب معظم النهار ، طرت إلى النيل أريد أن أعبره فوق سارية من معدية . فلما شارفته ، رأيت ما ملئت منه تعجباً وتحيراً . رأيت شاطئين يتغايران وضفتين تختلفان . هذه تلوح موحشة كأنها قبر ، بمكان قفر . أرض على الطبيعة ، وفلاح على الفطرة ، وجيئة لغير مطلب ، وذهاب فى غير مغنم ، و زرع الفلاح ابائه ،

وللتاجر ثمرانه . وهذه تموج بمعالم العمران ، وتتجلى في زخارف الحضارة ، وتتدفق حياة ، وتتوثب وجدانا . فوقفت أتأمل هذا المرأى البهج ، والمنظر العجب ، والمشهد البديع ، وأنا أتهم الخيال ولا أتهم الحس ، ولا أبرىء نفسي من سحر أو مس . وقد أنساني الذهول ذكر ما وعدني النسر أمس . أنظر إلى النيل فأرى المجاديف تنتهب مياهه من تكاثر السفن لديه وتلاق الزوارق عليه، مشحونة بالبضاعة ،علوءة من الجماعة، فكأنما أنظر إلى السين أو الرون أو الدانوب . فذكرت عندئذ ماقاله نابليون لجماعة من جنده في مصر ، قد مر بهم فرآهم ينظرون إلى النهر ، وسمعهم يتساءلون . « أهذا هو النيل الذي تشيد الكتب المقدسة بذكره ، وتبالغ الأجيال في قدره ؟ إن السماع به خير من رؤيته » فاقترب منهم وقال : « انه لا يعوز النيل إلا خمسون عاماً ، ثم يبدو لكم كما تصفه الكتب المقدسة أو أجل » : فقلت في نفسي : لئن زعم نابليون أن مصر لا ينقصها إلا القدين ، ولا بد من أن تناله على يد الفرنساويين أو غيرهم من الأمم المتمدنة ، فقد مر مائة عام لا خمسون . فما بالي أرى هذه الضفة بحالتها التي رآها جنود نابليون عليها ، وأرى لدى هذه نعيا وملكا كبيراً ؟

***

وبينما أنا في التخيل تارة ، والتأمل تارة ، والتوهم مرة ، والتيقن كرة . بصرت بزورق يقترب مني ، ويجريه عصبة من المجدفين في الزي المصري القديم ، كما تمثلهم لنا الآثار ،وقد نهض فيه رجل كأنه المثال المنتصب رونقاً واعتدالا ، وسكينة ومهابة، وهو مكشوف الرأس لابس ثياب المصريين القدماء كذلك، فأشفقت من رؤية الزورق ورجاله لأول وهلة ، وتحفزت للطار فصاح الرجل بي يقول :

إلى يا هدهد . إني أنا النسر ، فلا تخف ولاتجزع . قلت وما بدلك يامولاي ، وما هذه الحال ؟ وهبني جئت لك فأين تريدأن تجعلني ؟ قال تقدم ثم تكلم، فطرت من فوري اليه فتلقاني بكلتا يديه،ثم رفعني فوق كتفه، وقال هذا مكانك ،فاستقر فيه ولا يكثر من التلفت والانتفاض فتوذيني . قلت سمعاً وطاعة يا مولاي . عندئذ أشار إلى الملاحين ، ان ينثنوا بنا راجعين . فسالت أيديهم بالزورق في نهر سريه الجلال وخط عليه الجمال ، تتلاقى السفن فيه كالجبال، تنوء بالبضائع والغلال، وتفيض من الرجال والأموال . فسألت النسر لمن هذه الأرباح يا مولاي ؟ لقد أذكرتني كنوز سليمان

عليه السلام ، وجواريه المنشآت فى البحر كالأعلام ؟ قال هذه رعية مولانا الملك رمسيس ، تروح وتغدو بين طيبة ومنفيس . ناهضين بالمتاجر الجسيمة قائمين بالأعمال العظيمة تجري السفن بهم ليل نهار ، بين شاطئين كلاهما محط لرحال التجار . قلت وإلى أين تمضي بي الآن يا مولاى ؟ قال ألم أقل لك موعدنا منف وها نحن قادمون وهذه معالمها تبدو وتظهر ، وتلك مجاليها تضيء وتزهر ؟ فأخذنى الدهش وصحت: الله أكبر ! فأنكر النسر على صيحتى وقال ألم أؤدبك بالأمس ؟ فهلا دار يتناق فى دارنا وأرضيتنا فى أرضنا ؟ قلت وما عساى كنت أقول يا مولاى ؟ قال كان أولى بك أن تسكت . أو تقول الشمس كبيرة وحفيدها رمسيس كبير . قلت لا أعود لمثلها يا مولاى فهل لى أن أرى حفيد الشمس ذاك ؟ قال ستراه وتسمعه . فلا تعجل ولا تؤذنى بأسئلتك .

***

ثم استقر بنا الزورق ونالت أقدامنا منفيس ، فاذا بها تحلت من الزخارف بكل نفيس ، وتجلت تختال فى حلل البهاء وتميس ، حيث التفت رأيت حولى عزازة وعماره ، وثروة ويساره ، وصناعة وتجاره ، وجاهاً وإماره ، وجنود البر والبحاره ، من كل زى وشاره . فلم أتمالك أن اغرورقت عيناى بالدمع فالتفت النسر إلى وقال ، أدمعة سرور وفرح ، أم عبرة أسى وترح ؟ قلت بل كلتاهما يا مولاى . فلئن سرنى أن أرى هذا المجد لمصر أولا ، لقد ساءنى أنى لا أراه لها أخيراً . قال لو أن فوق كل شبر من أرض مصر ، هدهداً ، يملؤه دمعاً لما اغني ذلك عنها شيئاً فعليك بالتأمل والاستقراء ، قبل البكاء والاشتكاء ، والتبصر والاعتبار ، قبل النحيب والاستعبار . فكفكفت دمعى وقلت لا يكون إلا ما أمرت يامولاى .

***

قال الهدهد : ثم مررنا بهيكل يأخذ العين ، ويتملك النفس ، ويأسر الخاطر ، ويستوقف اللب قبل الناظر . فتوجه النسر وجهته ثم دخل بين حراس ينحنون له تعظيما واجلالا ، وكهان يوفونه تحية واستقبالا . وهنالك جعل يطوف بى حول القواعد والأركان ، ويرفع بصره إلى دعائم البنيان ، وينتقل بى من مكان ، ويذهب بى صعداً وصبياً فى حجر عالية غالية ، ومقاصير حالية ، من عيب خالية ، منها الداجى

المظلم الحالك، وبعضها منور الشمس اليه مسالك، وهو يقول: هذا يا بنى الهيكل الأشهر، بيت (فتاح) الآله الأكبر، حامى حمى هذه المدينة، وملبسها الأمن والنعمة والزينة. تنقل معي من حجر إلى حجر، وصل معى من أثر إلى أثر، وأنعم النظر فى هذه النقوش والصور، ترها فى ضمائر الجفن أدق من الخواطر والفكر، وما صنعت فى نور الشمس ولا فى ضياء القمر، لكن فى ضوء سراج ضئيل غير وهاج. ثم تأمل فى الحجر بجانب الحجر كأنهما واحد، انقسم على نفسه شطرين.

انظر إلى هذه الجبال كيف قطعت، وإلى الآساس كيف وضعت، وإلى العمد كيف رفعت، وإلى الزخارف كيف جمعت، هل ترى فى جميع ذلك إلا معرفة فى العلم، ودراية فى الفن، ومهارة فى الصناعة؟ وغير أحكام فى الصنع، واتقان فى العمل، ورغبة فى الثناء، وهمة عالية فى الأمر وذكاء فائق فى الأمور، وطاعة واجبة للملك على الرعايا، وعدالة مفروضة للرعايا على الملك؟ وهذه يا بنى أسس الآداب وروض الاخلاق، وقوى الحياة فى الأمم، وسر نجاح الشعوب.

قال الهدهد. وكنت أراعى القصر وفكرى فى الملك، أتمنى أن أراه مرة واحدة، فاجبته بذلك فتعجب من هذه المفاجأة وقال: الملوك أيها الهدهد فى كل مكان من عالمكم، اذا تغيبوا حضرت مآثرهم، واذا احتجبوا أسفرت مفاخرهم. فحيث نقلت القدم فى هذه العاصمة حدثك عز الملك عن الملك، ووصفته لك هذه الدولة الكبرى كأنك تراه. على أنى سأنيلك سؤلك واجعلك من رمسيس بحيث تسمع وترى، فلا تعجل على ولا تكن كمن يزورون الاستانة ولا أرب لهم الا حفلة السلاملك، واذا قضوا أربهم من حضورها رجعوا الى أوطانهم متبجحين بما لم يعلموا من أبهة ذلك الملك وعظمة ذلك السلطان.

قلت أفيرضيك أن أكف عن السؤال يا مولاى؟ قال اسأل ما شئت الا الصغائر فانها تقتل النفوس، وتطفىء نور العقول، وما اشتغل بها شعب الا هلك حيا.

إن لرمسيس وجها كبعض الوجوه، وجسما كسائر الاجسام، لكن اذا وقفت على شيء من بسطة ملكه؛ وامتلأت نفسك مهابة من سعة دولته؛ ورأيت آثار نعمته على رعيته، ثم لقيته بالذات لقيت آلها فى زى أنسان، تحسر فى جلالته العينان.

ويحقق لأدق لحظةمنهالجنان. قلت مررنا فى مجيئنا الى الهيكل بعمائر شتى وأبنيةتشيد ، وهيا كل تعمر ، فكنت أرى العمال صنفين ، والصناع فريقين مختلفين ، فما شرف من الأعمال وكان للعقل والرأى معظم الأثر فيه ، تولاه المصريون بأنفسهم وماخس منهاوكان شاقا يشترك فيه الساعدوالجسم كحمل الطوب وجر الأثقال ، قام به طوائف من الناس ، زرية أزياؤهم ، مختلفة صورهم ، مسودة وجوههم ، فمن هؤلاء يا مولاى ؟

قال غرباء أسروا فى الحروب وجىء بهم الى مصر فأرواحهم مباحة للملك ينهب منها ما يشاء ، ويسخر من استبقى فيما يشاء ، ويجود ببعضها على قواد جيوشه الذين جنوا معه ثمر الوقائع ، وشهدوا بجانبه المعارك والمعامع . قلت عجبا لكم معشر الآباء تبلغون هذه المبالغ من المدنية ، وتأخذون بهذا النصيب من الحضارة ، ثم تقسو قلوبكم فهى كالحجارة ، أو أشد قسوة ؟ فلو اطلع الافرنج خلفاؤكم فى الارض اليوم على سيرتكم هذه فى معاملة الغريب والأسير ، لأنكروها عليكم إنكارا ، ثم لولوا منكم فرارا . قال يبقى الحيف ، ما بقى السيف ؟ وليس ما نسبت الى أصحابك من الرحمة المتناهية ، وعزوت اليهم من الفلسفة العالية ، الاضلة من حلمك ، وقلة فى علمك .

ينكرون على ملوكنا أن يلعنوا من ليس من دينهم من الأمم وما أشبههم فى ذلك بادوارد السابع يوم ذم المذهب الكاثوليكى بمسمع من الأشراف أتباع هذا المذهب . يرموننا بفرط الكراهية للغريب واقتناء الحقد له ، ولنا فى ذلك أعذار مقبولة . فابشنشاق وجهه قط ، ولااستنمنا اليه مرة ، الا طمع فى ملكنا ، وافسد علينا أمرنا . على أنا علمنا الأمم من بعدنا شرع الوطنية ، وعرفناهم كيف يطول عمر الدولة عند قوم ، وتمتد برهة الحكم بينهم ، إذاهم اعتمدوا فى جميع أمرهم على أنفسهم وضربوا على يد الاجنبى أن تعبث فى شؤونهم . ولئن بالغنا للغرباء فى سوء المعاملة ، فلنا من موقع بلادنا الطبيعى عذر واضح . فما فى مصر الا سهل سهل غزوه والاغارة عليه ، وواد مكشوف للأبصار الطامحة اليه ، فلو لم يسهر عليه منا الساهرون ، لما لبث فى قبضتنا طول تلك القرون

وما أسير الحرب عندنا بأشقى من أسير الاستعمار عندهم ، يزرع لهم ويحصدون ، ويبنى لهم ويسكنون ، ويسهر عليهم وينامون ، ويفتح لهم البلاد ويتملكون ، والى

بعض هذا ينتهي الشقاء والصغار والهون . قلت يكاد علمك يسع الأشياء كلها يا مولاي، فلو علمت ما مراد الملك رمسيس من مواصلة الغزو ومتابعة الغارة والخروج من حرب والدخول في حرب ، ومنزلته بين الملوك الغابرين منهم والحاضرين ما لا ترى أبصارهم خلفها مطرحا ، فهلا أقر السيف وحقن الدماء ، فقد ملك الارض فهل يريد أن يملك السماء ؟ قال السيف يابني يعلي السيف ، والدول اذا كبرت وعز مقامها وتغلبت وعرفت الجاه والنفوذ جد بها الحرص على البقاء ، وطمعت في المزيد من الارتقاء ، مخافة ان تقف فيدركها اللاحقون ، او تمهل فيفوتها السابقون . وقد جرت العادة بين الناس أن الضعيف لا يزال يرمي القوي بالبغي حتى يصير ذا قوة مثله، فيطغى مثل طغيانه ، والفقير لا يزال يتهم الغني بالجشع حتى يثرى فيصبح هو الأجشع . وليس ما ترى من رحمة الناس بالبوير (١) وما تسمع من ذمهم الانكليز المعملين السيف في جنوب افريقيا منذ عامين ، إلا حسداً لاينفع البوير ولايضر الانكليز.

ولو أن أحدى الدول مكانهم ما كان شأنها الا شأنهم . على أن الفتح إذا نفع القاهر مرة ، نفع المقهور ألف مرة . فرمسيس انما يخرج الأمم من الظلمات الى النور ، فيفك عقولهم من عقالها ، ويشفي نفوسهم من ضلالها . ولولا فضل المصريين على أهل الأعصر الأول ما قامت للأحباش دولة ، ولا اجتمع للعبرانيين أمر ، ولا انعقد للآشوريين لواء .

سرى نورهم في الأمم المجاورة ، وامتدت حياتهم الى الشعوب المعاصرة . وهكذا سنة الدهر في الناس ، أواخر يرثون الأول ، ودول تبنى على انقاض دول .

قال الهدهد . فعذبت مقالة النسر في نفسي ، كأنها لفظ الشفاء على لسان طبيب، وقلت لقد أخرجتني من يأسي يا مولاي، وعلمتني من مستقبل مصر مالم أكن أعلم، فتنهد بفتور وقال تجمع كل أمة جوامع شتى من لغة ودين وجنس وأمل ويأس ، وسراء وضراء ، وأنتم لاتعرفون غير جامعة الموت تجمع الأعداء . ثم قطع الحديث، وقال هذا شيء نتحادث فيه بعد، فلنبق فيما نحن فيه من اجتلاء المناظر والمشاهد ، ومناجاة المعالم والمعاهد . وقلت ذلك أنفع لي

---

(١) اشارة الى حرب جنوب افريقية بين البوير والانجليز التي اشتهر فيها القائد دوويت البويري المعروف .

يامولاى ، فما هذا التمثال القائم بين مقاصير الآلهة من الهيكل وبين مجلس الملك ومنصب عرشه ، فانى أراه كعوج بن عنق فى ضخامته التى يزعمون . فمشى النسر إلى التمثال وجثا لديه ثم نهض وقال . فرغ الملك من حروبه التى تسير كالأمثال ، وأمن تخوم ممالكه ، وأخذ بالثقة من المستعمرات الواسعة ، وفرق جيوشه فى البسيطة يعززون منها آية الملك ، ويحمون أطرافها ، وأصبح من ثبوت الدنيا له واستقامة الأمر فى يده بحيث قلت فى وصفه ومدحه .

رمسيس ياملك الدنيا وواحدها وبضعة النور وابن الكوكب الأحد

الشمس مثلك بعد اليوم ما ولدت والشمس مثلك قبل اليوم لم تلد

فان تكن فى سرير المجد خالدة فأن عرشك مرفوع إلى الأبد

حتى إذا فرغ من تشييد مملكته ، والاحتياط لحفظها ، وجعلها بمأمن من الحساد والأعداء ، فكر فيما يخلد اسمه ، ويؤبد ذكره ، ويكفل لتاريخه الدوام . فبنى المدائن وأنشأ فى كل واحدة منها هيكلا خاصا بالآله أهلها الذى يعبدون ، وسور هذا الهيكل القديم بالأعمدة التى تراها محيطة به ، وليس أفخم ولا أضخم ولا أجل فى الأعين منها .

ثم أمر أن تصنع صورته معظمة وتجعل فى الهيكل ، فعمل له هذا التمثال وطوله ثلاثون ذراعا ، وهو من عمل الأسرى وحدهم : وقد عنى الملك بأمر ذلك فرغب أن يكتب أنه ، لم يعمل مصرى فى هذا التمثال ، قلت وفيم هذا التبرؤ يامولاى ، ولو أنه من صنع المصريين لكان بالملك أليق ، ولكانوا به أحق ؟ قال أن رجلا يرفع أكبر دولة فى الأرض ، ويقهر أربعين أمة ، ويضع حدود مملكته أنى شاء ، لايؤخذ بكبيرة . فكيف ينتقد فى صغيرة؟ قلت لأنت فى دفاعك هذا عن الملك ، أشعر منك فى مدحه . قال انما أديت بعض حقه .

وهنا غلب النعاس على النسر ، فجعل موعد الهدهد ميدان الملك فى أصيل الغد

(يتبع)

الفضاء والمادة

يقف المرء فى الليالى الصافيه الاديم يتأمل فى مظهر السماء مأخوذا بعظمة هذا الفضاء الذى يحيط به . واذا كان ملما بعلم الفلك فان دهشته تزداد من جراء رؤيته نور النجوم الذى تقطع من المسافات مالا يحد ، ومن الوقت الوف السنين النورية كما يصل الينا . وقد يحنى رأسه باحترام أمام هذه العظمه ، ويقوده التخيل الى الدخول فى ناحية غيبية صرفة ، يفسر بها هذا السر العجيب فيقول : من أوجد هذه النجوم ومن بسط هذه الابعاد ؟ ومن رتب هذه النواميس ؟ الله !!! الله القادر على كل شىء . وما الله عنده سوى قدرة خفية ، ينسب اليها إيجاد كل مالا يقدر على كشف سره . كالجاهل الذى إذا سمع صوت الرعد قال هذا صوت الله ! ولكن العالم لا يقول هذا ولا يتكل على قدرة خفية يعلل بها أسرار الطبيعة . فهو يتعب ويشقى فى التفكير والبحث كما يعرف أسرار الكون من غير أن يتطلب شيئاً غير الوصول للحقيقة . ولهذا فان مظهر الفضاء عنده ، بعد أن تحقق مصدر المحسوسات الطبيعية ، لم يعد مظهرا غريبا ، ولم يعد الله موجده . لهذا يعد عن أن يلج ناحية الغيب كى يعلله ، بل يستخدم العدد الرياضى كواسطة لا تخطىء فى الحكم ، والكشف عن سر اهم مشكلة عالجها الفلاسفة والعلماء منذ قديم الزمان حتى اليوم وذهبوا فى تفسيرها مذاهب شتى .

ـ ماهو الفضاء ؟ ؟

ـ الفضاء لاشىء فى ذاته ، فهو والوقت واحد . واليك السبب :

أن المسافة بين بيروت ومصر ليست واحدة فى اعتبار الناس . فالذى يسير على قدميه الى مصر ليس كالذى يسير راكبا فرسا ، وهذا ليس كالذى يركب الباخرة ، وهذا ليس كالذى يركب الطيارة ، وهذا ليس كالذى يسير بسرعة النور . فالمسافة هنا تغيرت بتغير السرعة . ولكن ربما يعترض البعض بأن المسافة بين بيروت ومصر محدودة بكذا كيلوا مترات ، فلا عبرة اذا قطعها الانسان فى ثانية أو فى شهر . غير أن هذا الاعتراض مردود . إذ من الذى حدد المسافة بين بيروت ومصر ؟

هو ـ الانسان :

وما هو الانسان ؟؟ .

هذا هو السر فى هذا البحث . فالانسان هو الذى يحدد المسافات ، وهو ساكن فى كون سريع الحركة، فما يحدد من المسافات لا يرجع للكون ، بل اليه- لان مايراد من الفسحة ، يرجع للنور الذى يحمل اليه مظهر قدر الكبر. والنور قوة مسرعة. فهذا الكيلومتر الذى يحدده ليس له وجود حقيقى لان الفترة التى يحدده بها ، ترجع لسرعة النور ، وسرعة النور تقطع فى الثانية . . . و ٢٩٠ كيلو مترا (١) فلو أراد مهندس أن يقيس فسحة تبلغ كيلومترا ، لما أمكنه عمل القياس فى أقل من عشر دقائق . وفى أثناء هذه الدقائق العشر ، يكون النور قد قطع مسافة . . . . . . ١٧٤ كيلو مترا . هذا من حيث أن المهندس ساكن ! ولكنه إذا سار بسرعة النور ، لما وجد مكانا للفسحة ولا زمانا لأن الفسحة والزمان من جملة مظاهر سرعة النور ، وبحث هذه السرعة يقودنا الى ناحية أخرى لا محل لبحثها هنا .

من هنا نقول ان الكون محدود ، ولكنه غير متناه . لان سرعة النور التى توجد الفسحة والزمان ، تسير فى خط منحن ، وهذا الانحناء يؤلف حجما محدودا هو الكون . فمعرفة قدر المسافات (٢) ترجع لوضعية الانسان الذى يقيس ، والالات التى يستخدمها من حيث أنه وأدواته جزء من كل . وما يحدده يكون بالنسبة اليه ، لا الى الكون . لان الكون وان كان محدودا فى نظر المهندس الساكن ، فهو ليس فى ذاته سوى (كم) quantum للنشاط ؛ يظهر فى آخر تحليل ساكنا . وهذا السكون ليس شيئا ، انما نحن فى وضعيتنا الحاضرة لا نقدر أن ندرك اللاشىء . لاننا بادراكنا اياه يصبح شيئا ! ولهذا كتبت الى العلامة آينشتين استوضحه هذه المشكلة ، وحسب رأيى يجب أن يضاف على المعادلة التى أرتآها نسبة وضعية الانسان المفكر ، لكى لا يبقى مجال للبحث والشك ، لان تركه الحالة

---

(١) اليك السرعة الحقيقية فى انتشار الضوء . فهو ينتشر فى الهواء ، وهو جسم ، بسرعة ٢٩٩ر٨١٨ كيلو مترا فى الثانيه . فاذا انتشر فى خلاء ، أى فى فضاء خلو من الاجسام ، ازادت سرعته ٨٢ كيلو مترا فى الثانية ، فيصبح ٢٩٩ر٩١٠ كيلو مترا فى الثانية . الوحدة (٢) الفسحة والمسافه شيء واحد فى هذا المقال (العصور)

التي تحسب اصل كل المحسوسات بدون معادلة ، يجعل البعض من الرياضيين في حيرة. لأنه كيف يمكن ان توجد هذه الحالة من ذاتها ؟؟ فانا لا اقر بوجود هذه الحالة وجوداً ذاتياً ، بل اثبتها من حيث وضعية الانسان المحقق ، فهي موجودة لان الفكر موجود ، فلو انتفى الفكر ، لانتفت هي ايضا . وهذا من أصعب مشكلات النسبية .

يوجد في علم الجبر هذه المعادلة $\frac{m}{0} = \infty$ اى ان المتر من القياس لانهاية له في التقسيم . ولكن لماذا لا ندرك اللانهاية ؟ لان فكرنا الذى نحدد به الاشياء يرجع بدوره الى مادة لها حجم ولانهاية لتقسيمها : إذن فالاصح ان نقول انفكرنا الذى لا نهاية لتقسيم مادته ، يعادل المتر من القياس الذى لا نهاية لتقسيمه ، او ان مادة فكرنا مع المتر يعادلان اللا شيء !

ولكن لايجب ان نشذ في البحث عن اظهار حقيقة الفضاء . فقبل اعلان نظرية النسبية كان البعض من العلماء يذهبون مذهب الديواليست Dualiste اى ان الكون يقوم على مبدأين أو نظامين هما ـ « الاجسام » ذوات الحجم والثقل والشكل وبقية مايتعلق بالمادة و ـ « القوة » التى ليست قابلة الوزن ولاثقل لها : ومن مجموع الاثنين يظهر النشاط ويتوزع ويتشكل كافة المحسوسات سواء أمن جهة الحركة والمظهر ، أم من جهة التفاعل والامتداد والضغط والتكهرب والتمغنط ، تغير الحالات الخ . وكل هذه تتطلب حجما ، والحجم هو الفضاء . وقد اختصر « روبرت ماير » هذا المذهب بقوله ـ ان الطبيعة تنقسم الى قسمين ، ومن مجموعهما تظهر كافة المحسوسات . فالقسم الاول يختص بصفة « الثقل » التى لاتندرك ، وهذه الصفة هى المادة ذات الحجم . والقسم الثانى يختص بما ينقض الصفة الاولى وهو ـ « القوة » غير القابلة للوزن ـ وهذه القوة غير قابلة للفناء . فالحجم والنشاط ، شيئان ابديان مختلفان في الاصل كل الاختلاف . والواحد منهما لايتكاثر إلا بالاندغام في الآخر . والمادة لايمكن ان تداوم البقاء إلا بكمية متعادلة مع النشاط اندغم فيها في حالة أولية . فهى من هذه الجهة تشبه اسفنجة تمتص من الماء بقدر كبرها ولكن لايزيد النشاط حجم المادة في هذه الحالة ، لأن النشاط لاثقل له ، والمادة ليست سوى مجموعة نشاط الطبيعى الذى لايوجد بدونها . فحجم الاجسام الثقيلة والنشاط الذى لاثقل له

يبقيان كعالمين مستقلين فى الاصل . فقد قال (بول جانيه) في كتابه ــ مبادىء الكهربائيه الذى ذهب فيه مذهب (الديواليست) ان العالم الذى نعيش فيه هو فى الحقيقة (Réalité) عالم مزدوج . من حيث انه مركب من عالمين مختلفين الاول عالم (المادة) والثانى عالم (النشاط) فالنحاس والحديد والكربون تدل على المادة والاشتغال الميكانيكية والحرارة تدل على النشاط . وكل من هذين العالمين له قواعد ونواميس يسير بموجبها ، فلا يمكن خلق مادة جديدة ، أو إفناء الموجود ، كما أنه لايمكن ايجاد نشاطا فوق الموجود ، أو جعل هذا الموجود يتلاشى . فالمادة يمكنها أن تتغير إلى مئات الأشكال مع النشاط ، بدون أن تصبح نشاطا ، ومن غير أن يصير النشاط مادة . ولا يمكن أن تدرك مادة مستقلة عن النشاط ، أو نشاطا مستقلا عن المادة . ومذهب « الديواليست » ينحصر فى هذه الجملة : ــ إن المادة وحدها تحتوى على الحجم والثقل والشكل أما النشاط فلا حجم له ولا ثقل ولا شكل ــ ومن هنا يظهر هذا الفرض

١ ــ إن النشاط لا يمكن أن يدرك خارج المادة :

٢ ــ إن انتظام النشاط فى الاجسام لا يدع هذه الأجسام ساكنة :

٣ ــ إن السكون الموضعى فى الاجسام لايزيد حجمها :

٤ ــ ان ظهور النشاط فى تموج النور لا يزيد ولا يقلل حجم الاجسام :

٥ ــ ان حجم الاجسام لا يضمحل ، ومبدأ بقاء الحجم يختلف عن مبدإ عدم اضمحلال النشاط :

ولكن فروض هذا المذهب يناقض بعضها بعضا . إذا كيف يمكن أن تكون القوة غير القابلة للفناء منتقلة الى الاجسام ومسببة لحركتها ؟ وكيف يكون اشعاع النور العديم الحجم من مظاهر النشاط الذى يوجد النفع فى أصل المادة ؟

قال هرتز « Hertz » فى كتابه ــ مبادىء الميكانيكيات ــ أن القوة ليست سوى مظهر من مظاهر الحجم أو الحركة . لأن لاشىء بعد الحجم والحركة . اما هذا الرأى لايعد من جملة الآراء الرياضية النهائية ، وهو يشبه رأى « مكسول » فى الكهربائية ، ورأى اللورد « كالفين » فى الأثير ورأى « هلمهولتز » فى القواعد

« السكيليكية » (١) لان الحجم والحركة مظهران ديناميان معلولان من مركز القوى الى تنفرج وتتغير بخطوط مستقيمة من مركزها . وقد اثبتت نظرية النسبية هذه الحقيقة ، حيث جمعت بين الحجم والحركة ، وأوجدت معادلة رياضية بحتة ، ظهر منها سر الكون . فالاجرام الطبيعية ذات الاحجام ينقص من أحجامها فى كل ثانية ما يوازى الباقى من قسمة مربع سرعة النور على مربع سرعتها . ومن جراء هذا فان الارض تنقص فى كل ثانية ما يبلغ ٦ سنتيمترات و ٤ ميليمترات . لان سرعتها ٣٠ كيلو مترا فى الثانية ومربع هذه السرعة ٩٠٠ كيلوا مترا وسرعة النور ٣٠٠٫٠٠٠ كيلو مترا (تقريبا) ومربع هذه السرعة ٩ مليارا ، فلو قسمنا مربع سرعة النور على مربع سرعة الارض ، لكان الباقى جزء من مائة مليون جزء . وفى هذه الحالة يكون مترنا قد قصر ٥ أجزاء من مليون جزء من الميليمتر فتأمل (٢) .

من هذه المعادلة ، ظهر سر انحراف عطارد فى دورته . فالعلماء قبل اعلان نظرية النسبية ، كانوا يجهلون كل الجهل سبب زيغان هذا السيار فى دورته عن فلكه المقرر وظهر لهم ان فرق هذا الزيغان يبلغ ٤٣ جزء من الدرجة فى ظرف مائة سنة . ولكن نظرية النسبية جعلتهم يعرفون سر هذا الزيغان . فعطارد سيار ذو حجم يسرع فى فلكه ككل السيارات . فلو أخذوا مربع سرعة النور ، لعرفوا مبلغ قصر حجمه فى كل ثانية ، وهذا القصر فى الحجم يجعل المسافة تقل بينه وبين الشمس . لان الابعاد تكون بنسبة الاحجام وسرعتها كما بين « كيلر » فالكون حسب نظرية النسبية صائر الى الاندغام . وهذا الاندغام يذهب بالوقت والفسحة . لان الوقت والفسحة من مظاهر وضعية السيارات . فلو وازت سرعة السيارات سرعة النور ، لما كان من سيارات ووقت وفسحة . لان الاختلاف فى السرعات هو الذى يوجد الاحجام . والاحجام مظهر الوقت والفسحة . ولما كانت القوانين الديناميكية تدل على ان السيارات من الظاهرات التى تسير مع الزمان ، فمن الطبيعى ان يكون الزمان سائرا بهذه السيارات الى أصلها .

ابراهيم حداد

---

(١) يمكن ان تدعى الرويبعة ترجمة (العصور)

(٢) راجع لكى تفهم آينشتين « لموره » صفحة ٣٧ ومبادىء النسبية ونظرية نواميس الانتقال لبكرل صفحة ٢٠ (حداد)

Ascenseur

كلة افرنسية مشتقة من كلة (Ascention) ومعناها صعود ، و يرادبها صعود الأماكن المرتفعة كالجبال مثلا

وقد اختلفت الآراء فى وضع مرادف لها باللغة العربية فقيل عنها «رافعة» وهذه اللفظة لاتؤدى معناها فضلا عن أن علماء الطبيعة اصطلحوا عليها فى علمهم على ساق ترتكز على محور وتعمل فى أحد طرفيها قوة وفى الآخر مقاومة، لتلك القوة ومن أمثلتها المعول والميزان والمقص — الخ —

وقيل عنها «مصعد» بالكسر وهذه أيضا تلتبس على المطالع مع لفظة «مصعد» بالفتح المستعملة فى علم الطبيعة للقطب الموجب فى عمود التحليل بالكهربائية

وقيل عنها «مرقاة» بالكسر أو الفتح وهذه تؤدى فقط معنى السلم أو الدرج

وحيث كانت هذه الألفاظ الثلاثة «رافعة ومصعد ومرقاة» بعضها مستعمل فى علوم أخرى وبعضها لايؤدى المعنى، فيحسن أن يطلق عليها كلمة «مصعاد» على مثل منطاد منعا للالتباس

والمصعاد فى العرف غرفة صغيرة يصعد بها وتتحرك بقوة إما مائية أو كهربائية، والثانية أكثر استعمالا

وليست فكرة الصعود بهذا الأسلوب حديثة العهد كما يظن ، بل هى قديمة معروفة عند الشرقيين. فقد كان القدماء يستعملون مثالا لها فى الآبار بوضع بكرة فى الخشب يدلى منها دلو معلق بحبل يجذب، فينسحب عليها رافعا الماء فى الدلو ، وينطوى الحبل على جهاز لايزال إلى الآن معروفا عند الاهالى «بالدولاب» ، وقد وجدت نفس الطريقة المذكورة ولاتزال فى بعض الدور القديمة بمصر والمدينة المنورة وغيرهما، حيث كانت تستعمل فى رفع الادوات من طبقة إلى أخرى أعلى منها

***

على أن ما ورد فى بعض الكتب التاريخية الموثوق بها من حكاية «الزنبيل» الذى صعد فيه اسحق بن ابراهيم الموصلى وعبدالله المأمون بن هرون الرشيد فى القرن الثانى

المجرى ببغداد والذى كان معلقا بأربع مقابض مربوطة بحبال تجذب إلى أعلى، لا كبر شاهد على أن فكرة المصعاد قديمة وكانت متداولة فى كثير من المدن الشرقية

***

واذا نظرنا الي العهد التركى نجد مثال المصعاد واضحا تماما فى ذلك الجهاز الذى يستعملونه فى القصور لرفع الطعام من المطابخ السفلية إلى الطبقات العليا. اما استعمال المصعاد للغرض المستخدم له عادة الآن، فيرجع الى سنة ١٨٦٧ م اذ فكر المهندس الفرنساوى ايدو (Edoup) فى استعمال ضغط الماء لرفع المصاعد، وهو أول من كانت له هذه الفكرة

ثم كان فى سنة ١٨٨٠ ان عرض ويمرسيمنس (Weimer Seimens) فى معرض منهيم (Manheim) بالولايات المتحدة مصعدا كهربائيا قوبل بالاستحسان

وجاء بعده المهندس هرتيمز Heurtemiz فرفق القوة المائية مع القوة الكهربائية فى المصاعيد فصارت من ذلك الوقت على ثلاثة أنواع

١ـ التى تتحرك بضغط الماء

٢ـ التى تتحرك بالكهرباء

٣ـ التى تتحرك بضغط الماء وبالكهرباء معاً

وهناك مصعاد آخر اكتشفه اميو (Amiot) ولم يعم استعماله بالرغم من بساطة تركيبه وصغر حجمه. وهو عبارة عن مقعد يصعد بتبع اعوجاج السلم ويمكن سنده إلى الدرابزين عند عدم استعماله

وإذا وجهنا نظرنا إلى التاريخ، نجد فكرة رفع الأجسام بطريقة المصعاد كانت شائعة مستعملة منذ عهد بعيد، ولا تزال إلى الآن تستعمل فى وقت الحرب وهى فكرة تصعيد المعدات الحربية والخيول إلى الجبال العالية التى تتعذر فيها السبل السهلة

وان دققنا فيها نجد أنها نفس الفكرة التى استعملها الشرقيون لرفع مياه الآبار، وقد يذكرنا التاريخ بها فى زمن القائد «هانيبال» عند ما عبر بجنده ومعداتهم جبال الألب لأول مرة فى التاريخ

وكيف جاء بعده « نابليون بونابرت » عند ما أراد غزو إيطاليا من الشمال ، فعبر نفس الجبال للمرة الثانية وصعد إليها الخيــــل والمدافع وذخائر القتال

***

نعود إلى وصف المصعاد الكهربائى الشائع الآن فنقول : إنه عبارة عن غرفة صغيرة ذات باب ومقاعد ، وهى مشدودة إلى حبال من السلك متينة تلتف حول بكر فى الأعلى مقام على مساند قوية من كمرات الحديد تشد بالحبال من جهة واحدة بواسطة محرك كهربائى موضوع فى أسفل المكان فتنسحب من البكر العلوى جاذبة الغرفة معها إلى أعلى ، ثم تلف حول بكرة بجانب المحرك الكهربائى ، وفى الجهة الأخرى من الحبال ثقل من الحديد يوازن الغرفة . وهو الذى يعيدها إلى مكانها بعد صعودها

ولا يستعمل المصعاد فى المنازل فقط ولكنه يستعمل أيضاً فى مناجم الفحم وغيره لرفع المحصول إلى خارج المنجم . وكذلك فى معامل السيارات ، حيث يكون على مساحة كبيرة تسع عدة سيارات لرفعها فى المعمل من طبقة إلى طبقة

وقد اجتمعت الثلاثة الأنواع من المصاعيد فى برج إيفل بباريس حيث تستعمل المصاعيد المائية والكهربائية والمائية الكهربائية كل نوع فى دور من أدوار البرج الثلاثة ؟

القاهرة ٣ يوليه سنة ١٩٢٩ — يوسف أحمد

مفتش الآثار العربية

خطرات

فى السياسة والتاريخ

☆☆☆

خطاب ألقاه اللورد جون مورلى — John Morely — فى صيف سنة ١٩١٢ بصفته العميد الاكبر لجامعة مانشستر بانكلترا .

اللورد جون مورلى سياسى من اقران غلادستون العظيم ومن ابطال السياسيين الذين اشتركوا فى تسوية المسألة الارلندية فى خلال القرن التاسع عشر ، وهو فوق ذلك كاتب من أكبر الكتاب وأديب من أحصف الادباء . مال الى درس الادب الفرنسوى على الاخص ، وفاز فوزاً عظيماً فى الترجمة عن حياة الانسكلوبيديين ورجال عصر النهضة التى سبقت الثورة الفرنسوية ، فكتب فى ديدرو كتاباً فى جزأين ، كذلك كتاباً فى روسو فى جزأين ، كما ترجم عن حياة فولتير وتيرجو وكوندورسيه وفوفنارج وغيرهم . وله فوق ذلك نحو ستين مقالة وأربعين صحيفة تعتبر من المراجع الهامة فى فلسفة هذا الرجل العظيم . وقد عنى الاستاذ محمد رفعت أستاذ الآداب بمدرسة فؤاد الاول الثانوية بترجمة خطابه هذا القيم فنشط بأن ننشره على صفحات العصور قبل ظهوره مطبوعاً عما قريب

— ١ —

الجامعات وتكوين مزاج سياسى للفكر — لجنة الدفاع الامبراطورى — الجو والخلق القوى — بعض أسباب التحول الاجتماعى — المشاهدة الدقيقة بدء التفكير — قيمة الخلق الجامعى — المثل العليا وتحقيقها — الوهم الشريف والصراع المانوى — اساءة استعمال المدلولات أساس الارتباك — مثل أمريكى — كلمات بسيطة مثار مشاكل حادة — الحرية الدينية — أشكال الحكومة

☆☆☆

الجامعات وتكوين مزاج سياسى للفكر

حينما سنحت لى الفرصة السعيدة ان أقف بينكم منذ شهور قليلة ، عن لى ابدا

بعض ملاحظات عن الحقيقة الناصعة التي تثبت ان الديموقراطية فى معرض مناقشاتنا اليومية معناها الحكومة تعمل مباشرة بواسطة الرأى العام . كما أبنت الاهمية القصوى التي تحدو هيئة كهذه الجامعة أن تعتبر شطرا من وظيفتها المساعدة على تكوين طبائع الفكر والمزاج التي يترتب عليها ، مقرونة بمعرفة الوقائع الصحيحة ، وسلامة الرأى .

وقد عن لى الآن أن أضرب على نفس النغمة وان أقول شيئا فى السياسة والتاريخ ، وان أصيب هدفين بحجر واحد ، واستميح رحابة صدركم لأنى لا أعرف الا القليل من التاريخ . أما عن السياسة فقد يظن البعض ان معرفتى بها تفوق الحد المناسب ، وان درايتى بها ليست عن خطأ . فان هناك جذورا للشر واضحة بعض الوضوح ، ومن السهل أن تفسد السياسى والمؤرخ من المعاصرين . وقد يمتد ضررها للوزير أو الناخب فى عصرنا الحاضر ، بل والى كل من يتصدى لتفسير وقائع الماضى . واحدى هذه الشرور تفكك الفكر ، ثم ضيق مدى البصيرة .

هذا فضلا عن نواحي كثيرة أخرى من الضعف . وانتم تعلمون ، أو على الأقل تسمعون ، عن اسوئها وهى الخمول والتبرم والتحرج والتسويف وعدم التماسك بين الآراء ، والنفور . وقد أدرجت الأخيرة ضمن النقائص اذ ليس بمنقصة ان يكون أولى مواقفنا نحو الآراء الجديدة موقف الاستبداد والقبول للاستماع ، لا مناصبة العداء والكفاح الجدلى . فالعقلية السمحة لا تعوق محبة الحق . بيد أن الحياة قصيرة وهناك حدود للصبر على آراء الدجاجلة التى تنبت كالطفيليات . ويلذ لى أن أذكر أنكم لم تنسوا بعد الروح التى أملت هذه العبارة على سبينوزا ، وقد ذكرتها لكم فى خطابتى الأخيرة إذ يقول : « حينما وجهت عقلى لدرس السياسة بالدقة التي كنت اعالج بها تفهم الرياضيات ، كنت أجهد نفسى كل الجهد كى لا أسخر من أعمال البشر ولا أتبرم بها ، أو اتضجر أو اغضب ، بل لافقهها ، وكان يعنى بذلك النظر الى دوافع الشعور الانسانى من حب وكراهية وحسد وشفقة وحب للطموح ، لا كرذائل فى الطبيعة البشرية ، بل كخواص وصفات فطرية فيها لاصقة بها لصوق الحرارة والبرودة والصواعق والعواصف بالهواء والسماء »

طواهر الزمن

ومن هذه البداية ، ومن تبيان مزاج زماننا ، تتدرج إلى التطبيق والمناسبات . ففى

مقدور كل ناقد مفكر ، متى شاء ، أن يصور بعض ظواهر هذا الزمن فى صورة مروعة واضحة الحدود كل الوضوح . فلنمعن النظر فيها . فقد وصفوا القوة السياسية كقوة محصورة فى أيدى جمهور هائل متنقل من المنتخبين ، لا تعنى إلا القليل بشئون التاريخ والتقاليد . وقد يتساءل الرجل العادى المنهمك فى كسب عيشه ماقيمة التاريخ لى ؟ ما يعنينى منه ؟ و يحذروننا من ان الديموقراطية ستلح فى وضع برنامجها بنفسها . فهيكل الاعضاء والوظائف التنفيذية تنتابه الآن تغييرات قد يخفى علينا شطرها . بيد انها عميقة بعيدة الأثر . ومجلسا البرلمان فى دور تحول اساسى تحت نظرنا ، ولم تصبح هيئة الوزارة ، وهى حجر الاساس فى مأمن حريز من عوادى الزمن بالنسبة لحجمها وامتيازاتها . فنظام الاحزاب ، هذا النظام العظيم السليم ، يقال انه ذائب متحول الى جماعات وهيئات متآلفة . وقد حول نمو مصالح خاصة كل يدعى لها نصير من الوزراء يمثلها ، هيئة الوزارة الى اسم جمع لا يصلح كل الصلاحية لتركيز الجدل والمناقشة اللذين كانا مستطاعين حين كان « لبت » "Pitt" ستة وزراء ثم اصبحوا سبعة . وللورد بيل Lord Peel اثنى عشرة وللغلادستون Gladstone اربعة عشرة . فى حين ان عددهم الآن يقرب من العشرين .

لجنة الدفاع الامبراطورى

وقد ضمت الآن هيئة من الاخصائيين الخبراء لهيئة مختارة من الوزراء لوضع قرارات ونتائج فى شئون الدفاع الحربى والانفاق على الشئون العسكرية . وهذه النتائج ولو انها اسما للاستشارة والاستنارة لا غير ، الا انها بطبيعة الحال لها من الاهمية والاعتبار ما يؤثر حتما فى حكم هيئة الوزارة على الأمور ومسئوليتها . وفوق ذلك فجلوس زعيم الحزب المعارض فى هذه اللجنة الهامة ، اشارة ظاهرة الى انتفاء الروح الحزبية فى اعتبار الشئون الحربية والخارجية (لان كلا من هذين الشأنين متوقف ضرورة على الآخر) وسحب هذين من ميدان الخلاف والصراع الحزبى .

وليس ذلك اول مثال فى تاريخنا لتحول هائل بطىء صامت فى نظام امبراطور يتنا غير مدون فى وثيقة او مصوغ فى شكل تقنين منظم . فمن المعروف عند الجميع خطة السير وليم تمبل W. Tumpell المشهورة فى زمن شارل الثانى (ولو انه لم يفهم احد مداها تماما)

وقد يرى بعض النقاد ذوى البصيرة ، شبه رجوع لمشروع « تميل » فيما يعتبرونه تحولا بطيئاً فى تشكيل هيئة مجلس الوزارة ، بحيث أصبحت كمجلس شيوخ أعلى للامبراطورية مع قيد واحد، وهو الارتكاز دائما على أغلبية مجلس النواب - وهذا شرط حيوى بعيد كل البعد عن تصور عصر « تميل » وعقليته . وهناك عنصر هام يجب أن لايفوتنا ولو فى لمحة عجلى كهذه فدو بلاتنا المستقلة وراء البحار Dominions بدأت تطالب مبدئياً بحقها فى الاشتراك فى إدارة دفة شئون الامبراطورية فى حين أن الحركة الأخيرة ، وليدة هذه الرغبة (وهى تعديل الاشتراك فى النفقات البحرية) لم تسفر عن نتيجة حاسمة

الجو والخلق القوى

وأهم من التعديل فى الآلة الحكومية ، دلائل التغير فى الجو القومى . وقد تكون هذه الدلائل سطحية مؤقتة - وهناك مايحملنا على الاعتقاد بصحة ذلك - فانه مامن شئ أبعث على التأكيد فى استعراض أحوال العالم الحديث من ظاهرة أن الخلق القومى أبطأ الأشياء تغيرا وتحولا فى أسسه وقواعده . بيد أن التحقق كشف لنا عن تزعزع الايمان فى اعتبار القانون كقانون ، والانحراف عن المنشآت القديمة المتوارثة كمنشآت . حتى أن المحامين الأقوياء الحجة قد يستعملون لغة تنم عن اعتبارهم القوانين كنسيج من غزل العنكبوت

والاتفاقات المقررة بين الهيئات الصناعية ليس لها أحيانا من القيمة أكثر مما لحبال الرمل . وليس هذا التحول بقاصر على انجلترا وحدها . وينبئنا المفكرون من الامريكيين عن مثل هذا التيار حتى فى بلادهم ولو ذكرنا مثلا أن قيام العدالة ونفاذ القانون على الجميع عماد كل الحكومات المتمدينة فمن الداعى إلى العجب أن نسمع ساسة الامريكيين ممن تقلدوا وظائف تضطلع بأسمى المسئوليات ، يندرون بحرارة بتنفيذ قانون العقوبات كسبة لبلادهم ، ويعترفون ان نظام تعيين القضاة مدى الحياة عندنا ، خير من نظام القضاة المعينين فى بلادهم ، او من جهة اخرى يطلبون حق الاستئناف لاستفتاء شعبى ، ضد قرارات محاكم الدولة فى المسائل الدستورية ، واقالة القضاة الذين اصدروها . وفى كلتا الحالتين ، فان مآل ذلك انهيار اسس النظام القضائى . و لئن

كان اضعاف الثقة فى برلماننا شىء مخيف . فان القضاء على الثقة فى عما كنا أمر لنا ان نكون منه اكثر خوفا واشد خشية . وليس من الصواب ان نقول ان الحس بالاهتمام بالسياسة والتطلع الى شئونها وواجباتها ، قد ضعف وتضاءل !!!

إن الواقع يكذب ذلك . فالشعور بالتكاليف السياسية ، إذا كان معياره عدد المشتركين فى عمليات الانتخاب العام ، قد أصبح أشد قوة بدلا من أن يؤول إلى الضعف . والاحساس بالواجب الاجتماعى (وهذا احساس مغاير تماماً للشعور بالتكليف السياسى) قد نما نماء كبيرا ، من حيث القوة والمدى . وقد يعرف الجميع أن «سايس» أحد رجال الثورة الفرنسية ،نشر قبل انفجار الصاعقة على فرنسا سنة ١٧٨٩ رسالة من أقوى ما كتب عنوانها « ما هى الدولة الثالثة ؟ هى كل شىء ! ماذا كان شأنها فى عالم السياسة حتى الآن ؟ لا شىء ! ماذا تطلب ؟ تطلب أن تكون شيئاً . ويحذرنا الآن ناقد بصير ، أن وراء الدولة الثالثة دولة رابعة وخامسة قد نهضت ، ويجب أن يعمل لها حساباً . فالمرأة التى لم تكن شيئاً وتطالب الآن بكل شىء ، سيكون لها بعض الشأن فى الغد »(١)

بعض أسباب التحول الاجتماعى

ويتساءل القادرون على التفكير الجدى الصحيح ما هى الصلة الدقيقة (إن كان هناك صلة) بين التغييرات الخطيرة للأفكار التى تجرى الآن أمام أعيننا ومثيلاتها الخس ، فى نظام حياتنا القومية وأفكارنا خلال نصف القرن الماضى ؟ — وهذه التغييرات هى — أولا :

نقل السلطة السياسية الغالبة من أيدى ارستوقراطية وراثية مؤسسة على التملك العقارى ومن الطبقات المتوسطة إلى كافة أفراد الأمة جمعاء . وثانياً : انتشار نظام التعليم الاجبارى فى طول البلاد وعرضها . وثالثاً : زوال دعاوى رجال الكهنوت بعد أن حلت محلها مرونة غريبة تتغلغل الآن فى كافة أوضاع العقائد الكهنوتية ورموزها ومعاييرها . ورابعاً : اعتلاء العلم والروح العلمية فى أيامنا هذه على الأقل ، على عروش الأدب والفن . خامساً وأخيراً : اتساع أفق تصورنا للدولة اتساعاً عظيما . ويلحف الجميع فى

(١) فاجيه : المسائل السياسية

طلب استخدام الدولة كل السلطات والواجبات التي فى يدها . و إحدى نتائج هذا التقدم الأخير مرتبطة بالتحول فى نظام مجلس الوزارة الذى أشرت اليه ، إذ يؤول إلى اتساع الأعمال المصلحية التي يشرف عليها الوزير . وذلك مما يجعل مهمة المداولة العامة فى مختلف الشئون أشق أداء أو مستحيلة التحقيق

المشاهدة الدقيقة بدء التفكير

ومن السهل أن نتصور أن توافق الظروف الممتعة للمشاهد ، المحيرة للفكر ، المثيرة للعادى من الناس والتئامها وتلاصقها بهذه الكيفية البارزة ، لا محالة آيل إلى تكوين عناصر تحدث أزمات ومآزق يصعب الخروج منها . إلا أن الخبرة الواسعة التي جنيناها من تاريخنا القومى ، قد دلتنا على أن أسلم الأشياء مغبة ، وأكثرها سدادا وهدى ، فيما يتعلق بكل الجماعات التي تتكلم بالانجليزية ، أن لانسارع إلى تصديق عبارة « جون بانيان » — « إن الهوى سيتغلب على كل شيء فى زماننا »

فلنضرع إلى الله أن يهبنا الخلاص من الغلو ، وأن يهبنا روح التوازن المصحوب بالحذر التي هي من أهم الصفات الفاصلة بين الحصيف والسخيف . ويجمل بكل من له يد فى بناء المستقبل أن ينقش على مخيلته كلمات أول عالم استخدم الطرق العلمية للحكم على الشئون الاجتماعية إذ يقول « مالتوس Malthus » عن نفسه ، أن الكاتب يس فى حالة من المزاج الفكرى بحيث يجد الطرق التي تبتكر لتحسين حال المجتمع فى المستقبل خيالية محضة » بيد أنه ليس له من قوة التسلط على فكره ما يمكنه من الاعتقاد فى كل ما يميل اليه دون مشاهدة وتحقيق ، أو يمتنع عن تصديق ما قد يبدو جالبا بغيضا ، إذا اقترن البرهان والدليل على صحته . وهذا هو المزاج الفكرى الذى نأمل نموه وانتشاره فى أوساط جامعاتنا .

قيمة الخلق الجامعى

إن مناقشتنا الحالية للأسباب والنتائج فى المسائل الاجتماعية يهيء لنا مادة شيقة طريفة للنزاع الحزبى والتراشق بمصطلح التسفيه الجدلى . وليس ذلك فى موضوعنا ولا هو مجد لنا ، أو جدير ببحث ناقد حصيف فى أيامنا هذه نبحث عن التقدم فى قوة اجتماعية حديثة فى الكم ان لم تكن فى الكيف ، وهي ما يسمى التحالف الحديث بين العلم البحت والصناعة (١)

---

(١) اللورد بالفور فى رسالته المعنونة « الاعتقاد » سنة ١٩٠٨

والآن لا يمكننا أن نتكهن عن مدى هذه القوة الجديدة . فان كل ما تكتسبه من عزم ومضاء ، يجب أن تكون مركزه هذه الهيئات التعليمية العظيمه أى «الجامعات» ويجب أن تكون هذه أعضاؤها الرئيسية ، وأن روحها الكامنة ، وقوتها الروحية ، هما اللتان يقودانا ، وعليهما تستند فى سيرنا إلى الأمام ، فضلا عما تقدم لنا من حكمة وارشاد . وقد اعتبر جهابذة المؤرخين «الجامعات» إحدى المؤسسات الرئيسية فى القرون الوسطى ، كالمحاكمة بواسطة المحلفين والمجالس النيابية . وكان ذلك دون تردد . فتأثير الجامعات والمدارس العامة التى تغذيها فى نظام معاهدنا الأخرى ، وسيرها ، بين هائل . فقد كانت عوامل رئيسية فى تكوين السياستين ، المدنية ، الدينية ، وقد كانت أحايين عوامل للظلام ، كما كانت مبعثاً للنور - وكانت أحايين كذلك ، وفى ظروف عدة ، مرآة التعرض الجامد الوثيق ، والأوضاع التقليدية الصبيانية ، وذيول النظم الاجتماعية البالية ، عن أن تكون المنائر الوضاءة تشع النور فيما حولها ، وتغذى هذه الشعلة المقدسة : ألا وهى حب الحقائق الجديدة التى لا تنبت البتة إلا فى فضول الشباب .

وليس من المحتمل أن تفتقر جامعاتنا الحديثة لقوة لها مثل هذا المدى الهائل والأثر العميق ، ولو أن أوضاعها فى تحول سريع وقد قيل صدقا . إن العالم الممتاز هو الذى يحكم العالم دائما . — وهذا القول أكثر صدقا وصواباً مما يرى الناس ، حتى فى بلاد كبلادنا قل فيها كثيراً نفوذ الاساليب الارستوقراطية . فى حين أن امتيازات العالم الممتاز فى الطبقة الاجتماعية ، يجب أن تخضع من الآن للعوامل التى تكون المزاج العالى ، وقوة الحكم ومدى الاهتمام بالشئون العامة فى مراكز العلم والتعليم كجامعتكم . فان بث تعاليمها ونزعاتها يكسب الجدل فى الشئون العامة لونه وطابعه الخاص . وسوف يقلل من عدد هؤلاء الذين يدعون أن لهم آراء ، وهم فى الحقيقة خلو منها . ومهمة الجامعات ، فضلا عن تلقين علوم الخاصة ، أنها معقل العقل والادراك وحصنهما الحصين ، وأن اعداء العقل الالداء ، رغم الاسلحة الجديدة والرموز المستحدثة والوجوه المستعارة ، لهم على ما كانوا عليه فى كل زمان ومكان .

وسوف أوفر عليكم تلاوة سجل نقائص الانسان مما اسهبت الكلام فيه آنفا ، ومن الأطرف الأمتع أن نحول وجهنا شطر الآخر ، لناحية قوة الانسان (لاصوب

ضعفه) نحو الانصاف والصراحة ، والهمة والمثابرة والاحسان والنزاهة ، فى خدمة الاغراض العامة ، والاقدام دون سبق الوهم أو الافتراض ، وكل الصفات النادرة التي ينقشها الاصدقاء الاوفياء على لوحات قبور اصدقائهم . وأن مدى هذه الصفات لواسع وحافز للهمم .

ومن الحقائق المفيدة التي يجب أن يحث الشعب على ادراكها ، خصوصا فى ظل الحكومات الشعبية ، أن الزمن وتحول الجو السياسى ، يعملان دائما على الصاق معان ومدلولات مختلفة لنفس الآراء والالفاظ القديمة . وقد ألفنا أن نتقدم إلى المعامع الكلامية ونشتبك فى الحروب الجدلية ، كما لو كانت الاعلام والشارات التى نقاتل فى ظلها ، والالفاظ العنيفة التى نتراشق بها ، كل هذه رموز ومدلولات على القضايا القديمة . وليس ذلك إلا مظهر واحد لوجوه هذا الزمن المتغيرة . وقد اسلفت الكلام عن ضيق مرامى الفكر ومطارح العقل ، وأن بصيرتنا لتضيق حقاً لو اغفلت التأثير الذى للظروف الخارجية فى شئوننا — من خريطة أوروبا الجديدة — إلى التغير فى توازن القوى المقاتلة ومحاكم العدل الدولية فى لاهاى ، والتعاريف الجمركية وقناة بناما وكل التيارات الغريبة التى يسابق بعضها بعضا بسرعة هائلة وسط العوالم المتغلبة — عوالم الانسان الابيض والاسود والاصفر والاحمر .

[illegible]

يسلم أكثر الناس تعصبا لمبادئهم ، أن من أصعب الصعاب الوصول إلى الحقيقة . الا أننا نتساءل هل هناك ماهو ادعى لاثارة الغضب أكثر من الرأى السديد ؟ فقد يكون فيه خراب الصحيفة اليومية ، كما أنه هو الذى يكبت حدة المناقشة ، وقد يقضى على فرصة التربع فى كرسى الوزارة . وان لم يكن صاحبه حاذقا فقد يبعث فى نفوس المنتخبين السآمة والضجر . وسبب ذلك فى غاية البساطة . فالرأى السديد لايفيد إلا القليل أو لايفيد مطلقا فى انهاء الاعمال . وقد قال الحكيم « هاليفاكس Halifax » من لايترك شيئا للمصادفات لن تزل قدمه إلا فى مواطن قليلة . بيد أنه لن يأتى من جديد إلا بالنذر القليل »

وكما قال سليمان « من يفكر فى الرياح لن يبذر ، ومن يتطلع إلى الغيوم لن يحصد » وقد يكون الاعتدال احيانا لفظاً ملطفاً للتردد ، وليس من صفات القاضى المزاج

الحزبى . ويحسن بكل انسان أن يرى أن لمعظم المسائل وجهين ؛ ولو أنه من دواعى الاسف فى هذا العالم العملى أن لا نتأكد يوماً ما هو جانب الصواب . ونظل حيارى مترددين ونحن مفتقرون إلى الرجال ذوى البطولة وشجاعة الرأى ، الذين لا تتغلب عندهم آلاف الحقائق إذا تعارضت مع فكرة واحدة راسخة .

والامم سعيدة مادامت الفكرة السائدة تستند على ثلاث حقائق أو أربع ، لها من القيمة والوزن أكثر من آلاف هذه الحقائق متجمعة . ويرى بعض النقاد أولى البصيرة أن التاريخ حافل بالثورات البركانية تقذف اللهب والحمم ، ولا تترك ظاهراً إلا الطمى المتجمد .

وإنى ، مع الاسف ، لعلى دراية تامة بالاسلوب العقلى فى الفلسفة . هذا الاسلوب المعوج القائم على الغلو ، والذى لا يدع للتصور والتخيل سبيلا . الاسلوب الذى يتشكك فى كل عاطفة ويزدرى بكل التقاليد ، ويقوض أسس الماضى بل وكل ما هو قائم على عقيدة الجماعات ، والثقة فى حاضرنا . فى حين أن الغلو فى التبرم والتضجر ازاء الحركات الفكرية التى قد تسفر مع الزمن عن نعم وبركات ، كمياه النيل المخصبة ، لهو السخف كل السخف . فسوف تهبط مياه هذا الفيضان ، وسوف يبقى لنا محصول يستحق الاعتبار بجنى الجانين

الوهم الشريف والصراع المأيضى «المأتوى»

ان النفوس الملتهبة بالحماس لها مساوىء مشتركة فى عصر طموح وتطلع الى السمو وانا لنعرف كل مساوئهم . فالامر عندهم الى الابتداء حيث يجب الاختتام . وتحت تأثير وخزات التفكير فى مساوىء العالم وشروره ، يغمرهم تيار التبرم الشريف الى الرغبة فى رفع هذه الشرور وتقليلها وتخفيف وطأتها .

وقبل أن تبحر بهم سفينة الآمال ، يؤكدون لك انهم قد رأوا نجما جديدا يسبح فى سماء افكارهم ، وانهم قد وصلوا حقا الى بر السلامة ــ الى أرض الميعاد ــ ففكرة أو نظرية يفترض صحتها بادىء ذى بدء ، وتختمر مستقلة عن كل تجربة وعن كل شواهد وأدلة ، يسبل عليها بلا روية جلباب التقديس الذى لا يكسو الا المبادىء المقطوع بصحتها . فالآمال الشريفة والحماسة الفياضة تحل محل البحث العقلى ، وتمحيص الآراء ، فتراهم يسارعون الى استغلال كل حقيقة وظرف يرونه فى مصلحتهم ، ويتعامون عن كل اعتبار

اخر. فتعصبهم للاوهام رائدهم ، وهم ميالون الى الغلو، وميزان الاعتدال عندهم فاسد مختل . ولو كان معنا بعض ساسة الاحزاب للاحظوا انى فى هذا المكان مضطر الى الاسهاب فى الكلام عن النزاهة السياسية لدرجة التحمس والهوى . ولن يلوموننى فى القول بان بعض مساوىء الطرق السياسية مثل التى اشرت اليها — كاحلال الوهم الشريف محل الاستنتاج الهادىء — لفاشية بين المتحمسين من المحافظين تفشيها بين جماعة الخياليين من الاحرار . ولن يختلف معى أحدهما كانت عقيدته الحزبية فى القول بان من الحاجات الماسة فى عصرنا هذا السعى الحثيث فى تنظيم الرأى السياسى وتنسيقه وإيجاد صلة أوثق وامتن بين المثل العليا والحقيقة

وليس فى هذه الاعتبارات ما يدعو أولى الأمل والأقدام إلى أن ينقلبوا ضعيفى الفكر ضعيفى الايمان ، قليلى التحمس . فالثورة الفرنسية لم تحقق الأغراض التى كانت ترمى اليها ، وهذا أيضاً شأن حركة الاصلاح الدينى . أما المسيحية فمن أشهر الأقوال المأثورة فى القرن الثامن عشر « إن المسيحية جربت وفشلت تجربتها ، وبقى أن نجرب ديانة المسيح » ولم تبل جدة هذا القول للآن .

ومازال الكفاح والمانيخى — المانوى — (١) بين الخير والشر ، والخير والأخير ، يتجدد فى أشكال وأوضاع شتى . فثلث الأحياء يدينون بالمسيحية — منهم ٢٤٠ مليونا من أتباع كنيسة روما و ١٥٠ من البروتستانت و ١٠٠ من أتباع الكنيسة اليونانية . وبينما اليهود أقل الأديان عددا (نحوا من عشرة ملايين) فلهم من النفوذ الهائل فى سياسة أوربا ما لا يتناسب البتة وعددهم .

على أن علاقة المعتقدات بوجوه جديدة من المثل الاجتماعية العليا لتنفذ إلى كبريات المسائل . ويمكننا أن نفكر فى هذا البحث الطريف وهو : ما نسبة الآراء التى بها يعيش الناس وهى عمادهم فى الحياة ، مع ما يقبلون أن يكون موضع التساؤل والمناقشة إذا خلوا إلى عقولهم ؟ وكم هى تلك الآراء التى هى موضع التقديس عندهم ، بحيث يتعصبون لها كل التعصب وتسمو لديهم فوق كل بحث ؟

وهناك بشائر تبعث على الأمل فى أن المزاج الفكرى ، الذى له من الاستعداد

---

(١) المانيخية أو المانوية ديانة « مانى » وأساسها الفكرة الثنائية الفارسية القديمة فى أن هناك قوى الخير ومثلها الشر — أى عبادة الخير والشر وعبادة الشمس كمصدر القوى والخيرات

مما تحدوه إلى تجربة كل شيء ، والتمسك بنواصي ما ثبت على التجربة والامتحان ، سوف يسود ».

إساءة استعمال المدلولات أساس الارتباك

ولن يضيرنا أن نهضم هذه الفكرة السديدة للفيلسوف جون لوك : « إذا أنعم أى انسان النظر فى الاخطاء والترهات وضروب الارتباك الفاشية فى العالم بسبب سوء استعمال الألفاظ ، فسيجد بعض السبب يدعوه إلى التشكك : هل اللغة كما استعملها الانسان للآن قد أدت إلى تحسين المعارف بين البشر أكثر مما عاقت تقدمها ؟ »

وإذا كانت هذه الفكرة مما يدعو إلى التشاؤم فى كل زمان ، فكم تبعث فينا من القلق والجزع فى زماننا هذا ، حيث علينا أن نواجه شتى المسائل ؟ وكم يترتب على سوء استعمال المصطلحات والمدلولات السياسية من الاخطاء والارتباك ، وما يتبعها من الآراء التى ما هذه المصطلحات إلا رموز لها .

وماذا يكون شأن المحامى فى محاكم العدالة إذا ترافع فى قضاياه بألفاظ وأدلة مفككة لا ارتباط بينها ، وتجاهل السوابق التى تنطبق على قضيته ، وأهمل تسلسل الفروض والنتائج ، وسارع إلى المساواة بين المراجع قويها وضعيفها — مما يجده خير الناس بيننا كافياً كل الكفاية فى ميدان السياسة ؟

وهل هناك ميدان آخر غير السياسة تجتمع فيه الأصنام التى أشار اليها « بيكون » Bacon فى وئام وائتلاف — أصنام (١) المسرح والطائفة والسوق والكهف ؟ ومنذ خمس وعشرين قرناً نجد أحد كبار المؤرخين الاغريق يجهل البشر واهمالهم الحقيقة فى كلمات خالدة — قال تيوسيديد :

« إن الناس لا يميزون — فهم يقلدون بعضهم بعضاً دون تجربة - وحتى فى المسائل اليومية التى لم تضعف من ذكراها الأيام ، نرى اليونانيين أسرع ما يكونون جميعاً إلى الزلل - فما أقل ما يجهد الناس أنفسهم سعياً وراء الحقيقة ، وما أكثر ما يسارعون إلى قبول أول شيء يصادفهم »

---

(١) هذه الاصنام هى رموز أخرجتها مفكرة بيكون (وهو من أحد الأذهان التى برزت بين البشر) فصنم المسرح رمز على الوهم الخلاب الذى يتسلل إلى العقل مكان الحقيقة ، وصنم الطائفة هو التعصب الأعمى للجنس أو الطائفة أو القبيلة أو الفئة ، وصنم السوق هو الاوهام الفاشية بين السواد من أفكار ومطامع خلابة يبهرك ظاهرها بيد أن حقيقتها لا تخرج عن الخيالات ، وصنم الكهف هو أوهام المعتزلين النساك الزاهدين فى العالم تجاهلا لطبيعة الانسان والبشرية وضعفها ونقائصها يرمون إلى الكمال المحض

مثل امريكي

وقد أوردت صحيفة امريكية مثلا يوضح تمام الوضوح هذه الملاحظات .فيقول كاتب إن عدد المسائل التي هي لزام على الشعب الامريكي أن يكون له رأي مستنير فيها ، مما يحير الألباب . خذ إحداها ومن أكثرها تشعباً — كيف نعالج مسألة الاحتكارات (Trusts) ؟ كيف السبيل إلى تفهيم السواد بالضبط ما هي النتائج القانونية والمالية لقرار المحكمة القاضي بحل شركات احتكار الدخان ؟ إذ يرون كبار رجال القانون في خلاف يتناول أساس المسألة

ويسمعون السياسيين يشددون النكير على معارضيهم . ولا يمكن أي انسان ان يدعي جديا ان مشاكل إيقاف شركات الاحتكار عند حد ، وتنظيم طرق احتكارها ، مما في مقدور ما يقال عليه « حكمة الشعب » التغلب عليه. اذ كل مافي استطاعة الشعب تكوين آراء جلية راسخة رسوخ العقائد عن المبادىء الاساسية التي يرتكز عليها الموضوع كله . ويمكن تكوين رأي عام صحيح سديد حول المسائل الاساسية . وهي هل يجب علينا ان نحافظ في التجارة والصناعة على مبدأ المنافسة الحقة ، أو هل يجب أن تقوم الدولة بوظيفة الادماج والاحتكار والاشراف عليها ؟ ومتى حلت هذه النقط الهامة الأولية ، فسوف تهتدي القوى التشريعية والتنفيذية ، والمحاكم الى الحل السوي . وهــــذا مثال من أمريكا ولن يكون من الصعب أن نجد له مثيلا بلادنا .

كلمات بسيطة تثار مشاكل حادة

ان الآراء والالفاظ التي تبدو ابسط مايكون تنقلب في آخر الأمر أكثر الامور تشعبا ولو رأيت أي انسان في شك من أمره فثله تجربة هذه الالفاظ — الحرية والاخاء والمساواة .

وانه ليكون من حسن الحظ حقا اذا لم يقف به الأمر عن تبين ان هـــذه المصطلحات جوفاء لامن التعقيد في الفكرة لاغير ، بل من جهة المعنى والتطبيق . فانه ولاشك يراها متناقضة الدلائل . وقد قال لنا خير الثقاة إن للحرية ماثنا تعريف . وقد قال لنكولن « — Lincolin — اثناء الحرب الامريكية : « لم يتأت للعالم حتى الآن تعريف صالح للفظة « الحرية » بيد ان الشعب الامريكي الآن بحاجة الى هذا التعريف

القويم . وكلنا ينشد الحرية و ينادى بها . إننا فى استخدام اللفظ الواحد لانرى الا معنى واحد وشىء واحد. وإذا افترض ان لفظة « الحرية » قد تنصرف الى فعل كل انسان ما يشتهى فيما بينه و بين نفسه ونتاج عمله . وقد تؤول عند البعض الآخر بانهم أحرار فى التصرف مع الغير وفى ثمار أعمال هؤلاء كما يشاؤون » . ولن ننسى سريعا قول « كافور » Cavor التاريخى « الكنيسة الحرة فى الدولة الحرة » .

فهل هناك أسهل من هذه العبارة وانفذها الى الفكر وأجمل رنينا منها واطرب صدى فى اذن السياسى ؟

غيران هذه العبارة بعينها كثيراً ما كانت مبدأ لارتفاع أصوات متنافرة ومنافرات من الجدل المستحكم المطرد المتواصل ، وفاتحة رنات من النزاع حادة غير متآلفة

والحادثة التاريخية التى تم بها انشاء مملكة إيطاليا وروما عاصمة لها ، لأجل شأناً واعظم خطرا من ان تحصر فى نطاق قاعدة سياسية واحدة . وليس من السفه أن نصفها بأنها أهم حقيقة ظهرت فى تاريخ أوروبا مدة قرنين أى منذ صلح «وستفاليا» . ولهذين الحادثين الجليلين (أى تشييد مملكة إيطاليا وصلح وستفاليا) وجه واحد ذى أهمية كبرى . فكلاهما خاتمة تغيير هام وتحول لا يمحى فى حياة الدول والكنائس على حد سوى . وقد أثر كلاهما فى نظام العلاقات بين السلطتين ، السياسية والروحية ، بحيث غيرا من أسسهما ، وجددا من أنظمتهما ، فكانت خاتمة نظام القرون الوسطى . فى حين أنه مازالت ثمة حلقات ثقيلة باقية من السلاسل المحطمة تحيط كالنير برقبة الحكام المحررين .

الحرية الدينية

وان أقرب العبارات لنا وأكثرها حيوية فى مناقشات هذا الزمن ، لهى الحرية الدينية . فهى مسألة مضطرمة الاوار فى فرنسا و إيطاليا وفى ارلندا و إيقوسيا ، وحتى فى انكلترا لم تخب نارها تماما حتى تنقلب رمادا فى جوف التاريخ . ومع كثرة تداول هذا اللفظ بيننا ، فانه يشمل معانى مختلفة تمام الاختلاف فى مبناها ومدلولها وقد اهتدى « ليون الثالث عشر » الى اثنين منها فى حرية الضمير ، احدهما حرية الفرد فى اتباع أوامر الله ، والآخر حرية تحديد الاشادات الالهية حسب تصوره وادراكه وهداه واختياره .

واحيانا تدل الحرية الدينية على الحرية غير المقيده فى التعبير عن الآراء والمناداة بها فى المسائل الكهنوتية واسسها ،كحقائق مسطورة . وتفسيراتها للمعتقدات الراسخة وتا لفها واتساقها او تناقضها وعدم توافقها تماما مع المعايير والاقيسة المسلم بها فى دائرة العلوم الاثباتية والنقد الجرىء ، اللذين يتسع نطاقهما كل يوم . واحيانا تدل على ادعاء هيئة لاهوتية حق فرض قواعد الزواج والتعليم والاجتماع لاحياء الشعائر الدينية ، وغير ذلك مما يختار رؤساء الكهنوت فرضه على المخلصين والمتطوعين من الاعضاء والاتباع دون اعتبار النزعات الاجتماعية المتغلغلة فى الانسان ، او مقتضيات الدولة . وهل ينتهك مبدء الحرية السياسية حين يمنع البوليس موكبا من الكاثوليك من المرور فى شوارع « وستمنستر » ؟ او حين يطرد جمعا من الرهبان او الراهبات من الفرنسيس ؟ او حينما تقرر محكمة انكليزية (كما حصل منذ سنوات قلائل) الغاء وقف على جمعية تعتنق آراء مخالفة للمسيحية ؟ وما رأيك فى القوانين الشديدة والقرارات الصارمة التى لا محيد عنها ، والتى اتخذت فى العالمين ، القديم والجديد ، مدى قرن ونصف ضد جماعة الجزويت المهيبة . وقد كان الاغريق وبعض الشعوب الأخرى ، فى القرنين السابع والثامن ، مغرمين فى كفاحهم ضد السلطة العليا المتحكمة ، بالالتجاء الى المصطلحات الدينية ، مما توحى به الضغائن السياسية والطائفية . ولم تقلع بعض الجماعات ذات المدنية الراقية ، التى لا تبعد عنا أكثر من الاستانة ، عن اساءة استعمال هذه المدلولات . غير انه يمكننا القول ، عن انصاف وبعد عن كل غلو وزهو ، أننا فى نظامنا الحكومى على الاقل ، قد وصلنا فى جيل واحد الى تغلغل قانون التسامح فى أنظمتنا وسريانه لا فى قوانيننا وحدها كنا لا غير ، بل اشربت به عاداتنا ، ومألوفنا ، وسبل تفكيرنا العادية . ولم يكن ذلك التحول ثمرة عدم المبالاة والتشكك وانتفاء العقيدة ، بل هو أحد حركات التطور العميق الصامت ، التى تجعل التاريخ محتملا غير مملول

اشكال الحكومة

وفى الميدان الشاسع للمسائل المتصلة باشكال الحكومة ، تتوارد أكثر المصطلحات شيوعا فى اضطراب وابهام . وقد كتب « السر جورج لويس » وزير المالية سنة ١٨٥٧ ومن اعلم الرجال الذين اسندت اليهم هذه الوظيفة ، رسالة صغيرة فيها اسماه استخدام المدلولات السياسية وسوء استعمالها . والحق يقال انه لم يشع علينا من

نور الهداية اكثر مما اوصلنا اليه حوار اشراف فارس السبع قبل المسيح بخمسة قرون (هيرودوت — الكتاب الثالث) وما في هذا الحوار درس يبدأ باسئلة عن التقسيم الدقيق لاشكال الجمهورية والملكية . حيث يكون لاغلبية الذكور تأثير قانوني مباشر في تكوين الهيئة السائدة في الامة . هناك الديموقراطية . فان لم يكن لهذه الاغلبية نفوذ قانوني مباشر ، فهناك الارستقراطية . وهل الديموقراطية هي النظام الذي بمقتضاه تحكم الا كثرية ، او كما افترض ارسطو هي النظام الذي فيه يحكم الفقراء ؟ او هل يكفينا ان نوجز ونختصر ونحمل الديموقراطية على انها نظام يفتح امام اولي المواهب السبل ويهيء لهم طرق الحياة وغير ذلك من مقترحات التعاريف العامة والمصطلحات المفككة التي لا روابط بينها ، بل هي غير قابلة للتطبيق . فضلا عن أنها حلقات السلاسل تقيد الناس في طرق من التفكير لا تستند الى المعقول . كما لو كانت نصف شرور العالم لا تحدث من تلك الخادعة التي لا سبيل الى شفائنا منها . وهي اتخاذ لفظة والاصطلاح عليها . بدلا من ان تحدونا فكرة معينة [illegible] لفظ (سوسيو كراسي) اى حكم الجماعة منذ زمن لويس بلان . هذا الخليط المركب من اللفظ الذي يستدل به احيانا على التوافق المشكوك فيه فيما بين اتساع نطاق الديموقراطية وبين البلوتوقراطية (حكم الاكثرية) لم يتأقلم في بيآتنا الفكرية بعد .

وقد وصفوا الجمعية الحاكمة عندنا بانها أم المجالس النيابية . وهذا التشبيه مما يثير فينا الفخار القومي الحق . بيد ان الفوارق في السلطة ومنبع هذه السلطة بين الاصل والفروع ، تحجب جميع أوجه الشبه . خذ مجلس العموم مثلا . فهناك من كتاب الطراز الاول من يتكلم على مداولاته وقراراته وميول اعضائه وامتيازات سلطة خلال الحرب مع مستعمراتنا الامريكيه أو ضد نابليون : كما لو كان هذا المجلس مدة هذين الحادثين التاريخيين الجليلين ، هو نفس مجلس العموم الذي يحكمنا الآن — أي انه منتخب باصوات الشعب . والحقيقة ان اعضاءه كانوا مرشحي عدد من الاشراف ذوي الامتيازات السياسية لا يزيدون على اصابع اليد عدداً .

(يتبع)

الغراب والبستانى

(عن الجزء الأول من ديوان «وحى العام» للدكتور أبى شادى الذى ستنشره قريباً «دار العصور» وهو الترجمة الإنجليزية من نظم الأديب النابغة الأستاذ محمد أفندى عبد الله مصطفى

(١)

إنى لأذكر فناناً مررتُ به نعيمه كلّه فى حفظ بستانِ.
يهوى الجمالَ ويعرفيه عبادته وإنْ تنوّع فى شكلٍ وألوانِ.
ما كان يُؤثر منه مظهراً أبداً بل كان يعشق رُوحه السانى.

كُلّ المظاهرِ كانت عنده شَرَعاً — وحبّه هو صِنْوَ النُّورِ روحانى
لكنما فتنتْهُ زهرةٌ بَسَمَتْ — كأنّما هى جَمْعُ الحُسْنِ فى آنِ.
فصار يُعْنَى بها من عَهْدِ نشأتها — وزاد عُمْراً لها مِنْ بِرّهِ الحانى.
وخصّها بأغانيه ومُهْجَتِهِ — فى اليُسْرِ والعسْرِ، فى صَفْوٍ وأشجانِ.
وغاب عنها ولمّا عاد فى شَغَفٍ — وكلّه خَشْيَةٌ مِنْ بُعْدِهِ الجانى
قال الغرابُ له: «لا تخشَ سقطتَها — فقد خَدَمْتُكَ عرفاناً لإحسانِ.
أنظرْ إليها، تجدها لم تزل مَلَكاً — فى عالَمِ الزّهْرِ، قد خُصّتْ بتيجانِ»
فراح يشكر هذا الودّ مغتبطاً — وأمّ زَهْرَتَهُ فى شوقِ جَذْلانِ.
فلم يجدْ عنده رؤياها سوى شَبَحٍ — قد شوّهتْهُ جناياتُ لغِرْبانِ !

(٢)

THE CROW AND THE GARDENER.

An Allegory

An artist I ver'ly remember,
Whose lot was that of a blest gard'ner.

With love of Beauty him did the Muse
Instil and enchant with her forms and hues.

This shape or that design should she take,
His love, light-begot, never did shake.

Once charmed was he by a blooming bud,
Which he with tender care did fain tend,

Until a flower did she become
And smile and shine in fragrance wholesome

Of her radiant grace he sang and thought
In times of joy, grief, plenty and naught;

Yet was a doomed by absence to part
From the adored concern of his heart,

And when he with yearning did return,
His exalted symbol to discern,

A crow, to him obliged for favours,
Him on the way did meet with murmurs

And unto him did say earnestly : —
„ Thy flower have I treated kindly,

Thou wilt anon behold her a queen
Crowned in a hole of lustrous sheen. "

Deluded by the crow's sham saying,
To the flower goeth hastening

The Gardener, her to find defiled
By the mischiefs of crows fierce and wild.

رد مفتوح

إلى اسماعيل مظهر محرر مجلة العصور

الند كالند والنظير مثيل والسؤال يجوز من أى كان والى أى كان ، وحرية الفكر لا تحتقر الأديان ، وآداب الصحافة لا توافق على مثل ذلك

قد تلطفتم بنشر كتابى المفتوح (المرسل اليكم) فى عدد ٢١ من مجلتكم وبردكم القيم عليه مطولا فى عدد ٢٢ منها وبعد أن كنت سائلا جعلتمونى مناظرا وخاطبتمونى خطاب الند للند فشكرا جزيلا لكم

ولقد أساءنى وآلمنى كما يسوء كل مسيحى وكل مسلم أيضا ما احتوت مقالة الالحاد والتى نشرت فى عدد ١٩ من (مجلتكم) من الطعن والتحقير فى الكتب المقدسة لذلك انتقدت ذلك التحقير وليس إنى تعديت أو عارضت حرية الفكر كما نسبتم إلى

— ١ — سبب السؤال

وحيث أن شعار المجلة المصدرة به هو « انتقادية » فى الأدب والعلم والسياسة فقط ، لا فى الدين ، ارسلت كتابى المفتوح اليكم لأنكم حدتم عن ذلك الشعار . وكان المنتظر من حضرتكم كمسلم يعتبر هذه الكتب أن لا تنشروا مقالة كهذه لما تحويه من مطاعن الملحدين فى الكتب المنزلة منه تعالى وبأفواه أنبيائه الكرام . بل أن تراعوا شعور مئات الملايين الذين يعتقدون صحتها من يهود ونصارى ومسلمين

وقلت إن حق الانتقاد بحسب عنوان المجلة « انتقادية » هو لما يعرض عليها من المؤلفات أو تهدى اليها وليس لنشر مطاعن رئيس جمعية نشر الالحاد فى الكتب الدينية وإلا فلتزد المجلة على شعارها بعد « الأدب والعلم والسياسة كلمة « والدين » أيضا

وقد اتضح من ردكم على كتابى بأنكم مسلم يؤمن بالله ويحمده تعالى على ذلك ومن كان مسلما لا ينتظر منه أن يحبذ الالحاد بحرية فكره وبنشر مقالات ضد الدين

وشرائعه الآلهية. وإذا فعل مثل ذلك يكون جامع الضدين الدين والالحاد معاً، كما يجتمع النور والظلمة والحق والباطل، وهذا لو أمكن يعد مقدرة عظيمة لفاعله

— ٢ — خطأ حداد عندكم

إذا راجعتم كتابي المفتوح اليكم بتأن تجدون أني لم أخطيء بقولي فيه كما تصورتم. فقلت «من يطالع المقالة ولا يجد تعليقاً عليها منكم ولا بكلمة تعارض فحواها يظن حالا بأنكم على رأي كاتبها ومن دعاة الحاده. فهل أنتم على مبدأ هذا الملحد ومن دعاة الالحاد حتى نشرتموها بدون تعليق أو انكم بنشرها حسب القول «ناقل الكفر ليس بكافر» فتلطفوا بالافادة على صفحات مجلتكم الغراء بكلمة صريحة.

وهذه الخطيئة الكبرى التي صدرت مني فعظمتموها وحسبتم أنها «من روح التعصب القديمة ظهرت على يد القس حداد والحديثة». وقلت: يظن بأنكم وليس إني أؤكد أنكم الخ. الا يظن هكذا كل من يقرأها غيري ؟. وعلى فرض اني غلطت بقول يظن وان الحق لا يظن هكذا. فكان يكفي أنكم تجاوبون علي «كم بنعم أو لا» أو بأن هذا الظن ليس بمحله وأنا حر فأنشر ما أريد ولا حرج علي. وليس لك ياحداد أن تسألني هكذا... وحينئذ أعرف أنه لا ينبغي واعتذر لكم إن كان السؤال إساءة اليكم

وكيف نسمع أو نقرأ كلام الطعن والهزء بالكتب المقدسة والتحقير بصعود السيد المسيح بقول ملحد ينشر في مجلة راقية وهو «جسد يختفي في الجو: لو ٢٤: ٥٠. أسأل أحد الفلكيين أو لندبرج ابن مقرة (ويالها من وقاحة) ولا نغار وننتقد نشر ذلك الهزء وإن كان على لسان ملحد غير محرر المجلة الذي نشره. ومن البديهي أن من أنكر صعود المسيح إلى السماء فقد أنكر ضمناً صعود غيره من الأنبياء مثل أخنوخ وإيليا ومعراج النبي ص بالتبعية أيضاً

وما يصدق من التكذيب على صعود المسيح يصدق على صعود غيره. ولا واحد من المسلمين يسلم بذلك أو لا يغار ويغتاظ إذا سمع أو قرأ مثل ذلك الطعن. ولا ملامة علي إذا قرأت تلك المقالة في ١٠ صفحات من المجلة وكلها مطاعن وسألتكم ذلك السؤال الذي أغاظكم، طالباً جوابكم صريحاً بحرية الفكر والضمير.

حيث يظن كما تقدم أنه لولا موافقتكم عليها لما نشرتموها وفيها ما فيها من التحقير ولو كنتم غير موافقين لعلقتم عليها رأيكم بمعارضتها . أو تمنعتم عن نشرها . لكنكم حنفتم من السؤال وأجبتم بحدة كما ظهر منه التهكم والاستخفاف على الفس حداد ولم تترفقوا به

والدين الاسلامي منذ ظهور صاحب الشريعة الاسلامية قام لازالة الكفر والالحاد وعبادة الاصنام (١) . ولارجاع الناس الى عبادة الله والايمان به . ولم يزل لا يسمح بشيء من مثل ذلك الالحاد ويندد به . والا لما صار مسلمون يؤمنون بالله والقرآن الكريم والتوراة والانجيل بل بقي الناس في الجاهلية والوثنية والكفر ومعلوم ان كل المؤمنين بالله يقاومون الالحاد ولا يوافقون مبدأه ويدافعون عن الدين . ولا يحسب ذلك تعدياً منهم ولا تعصباً كما نسبتم الى

ولو اني كنت البادىء بالافتراء على الملحدين وعلى ناشري الخادم لصح ان ينسب الى التعصب ولكنني كنت سائلا ودافعا هجوم اعداء الدين . والالحاد هو ضد الدين الاسلامي كما هو ضد الدين المسيحي . والسؤال أيها المحترم يجوز تقديمه من أي كان والى أي كان . وحرية الفكر لا تمنع حرية السائل ايضاً لان السائل له حق حرية الفكر . وهكذا لم تتكرموا بان تجيبوا على السؤال بنعم أولا بصراحة

— ٣ — الهدم المقصود

من المؤكد ان الكتب المقدسة هي كأساس للقرآن الكريم الذى اقتبس منها ويشهد لها لانها أنزلت قبله . واذا انتقض الاساس أو تخلخل فلا يثبت البناء فوقه . وهكذا فاذا نقضت هذه الكتب بحملة كهذه من دعاة الملحدين أو من نشر الخادم لا يثبت القرآن دونها بل ينقض بحملة أخرى عليه من أولئك أو ضمناً وبالتبعية دون حملة عليه لانه كالكتب المقدسة . وكل مسلم نظيركم يوافقني على ذلك ولا يرضى بأقل اساءة لهذه الكتب المنزلة جميعها اذا كان مخلصاً لدينه

ولا يوافق أن يكون الانسان مسلما مؤمناً بالله في داخله وبما أنزل من الله ويحسن الالحاد ويطنب في مدحه وهو ضد دينه وشعبه . ولا ان يكون مستريح

(١) أنظر ما قال ... في مجلة العصور عدد ٢٢ يوليو صفحة ٦٨١ في الهامش رقم ١

الضمير فى داخله بالالحاد ويتظاهر بالدين فيكون جباناً ومرائياً بل الافضل له ان يكون ظاهره كباطنه علانية وجهاراً و بلا خوف ولا خجل

٤ — التشكى من حداد

قد طالعت ردكم فوجدت كثيراً منه تظلماً مني وتشكيا على كذبي اساءة اليكم بذنب عظيم لانكم توجهون كلامكم لغيرى وتشيرون إلى بالغيبة (أي كغائب) وكان يلزم على فرض انى أخطأت اليكم بذلك السؤال أن تظهروا خطئى ولا تعاملونى بما تفضلتم به من التهكم والهزء مثل « وماذا يعمل القس حداد . وماذا يعنى القس حداد » إلى غير ذلك . وتخاطبون غيرى كمظلومين منى ولمن وجهتم كلامكم بذلك ؟ فكتابي المفتوح اليكم والجواب على سؤالى يكون منكم إلى . وان كان السؤال ثقيلا كما حسبتموه لكن لى عذراً بأن أغار على الكتب المقدسة التى أجلها وأؤمن بصدقها لسبب ما احتوت تلك المقالة الطاعنة من التكبيت التحقير والاستهزاء فيها وفى السيد المسيح أيضاً .

٥ — حرية الانتقاد

ان كنتم خولتم نفسكم حرية الانتقاد ونشرتم انتقاد ملحد مخالفين شعار المجلة حسب حرية فكركم . فكذلك يحق لغيركم أن ينتقد تلك المقالة ونشرها ويسأل لماذا نشرتم ما لا ينشره مؤمن بالله وبالكتب المقدسة المنزلة منه . ولم تناقضوها كمسلين أو تؤيدوها بالموافقة على صحتها بمجاهرة وصراحة .

لكن السؤال كان هكذا صعبا على مسمعكم فاغتظتم وكتبتم ما كتبتم فى ردكم من الاستخفاف والهزء بالناقد بل بالسائل . وكأنه يصعب كثيرا على الناقد المستقل أن ينتقد من الغير . فلذلك يحق ويتكلم ويكتب متوجعا من الانتقاد عليه . ويحلل لنفسه كمن له ارادة سنية لا تعارض وهو مقدس غير مسؤول .

إنما قد مضى عصر الاستبداد فى جميع الشعوب الراقية وغيرها وصار فى خبر كان . ونحن حمداً لله قد صرنا فى عصر الحرية الراقى . وحقا كما يقال « إن الحقيقة تجرح » .

وهكذا قد ظهر ردكم على كتابي المفتوح انكم تدعون العصمة فيما نشرتم أولا وفيما رددتم بعد سؤالي مستندين على حرية الفكر كمن لا يغلط ولو كانت المقالة ضد الدين المسيحي والاسلامي أيضا الذى أنتم من اتباعه . ولكن جل من لا يغلط وحده والتشبث بالغلط غلط أكبر . « ومن قال لا أغلط فى أمر جرى فانه أول غلطة ترى » .

٦ — الاحتكار

وقد اتضح من ردكم انكم احتكرتم الانتقاد بحسب حرية الفكر لكم فقط ولا حصة ولو قليلة منه لغيركم ، فتنتقدون وتكتبون كما تشاءون . وكأن الانسانية قد أعطتكم ذلك الحق وحدكم . واذا انتقد أحد فالويل له فتقذفونه بسهام الاستهزاء والتهكم . وتخيفونه بالتهويل والتطويل . وتحكمون عليه وهو برىء بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان إلا لكم . وليس هذا من شعائر الرق والتمدن الصحيح الذى تشوقون اليه فى كتاباتكم وتأليفاتكم القيمة وترجماتكم المنيرة للعقول البشرية .

وتعلمون أن الحرية لا تجرح احساسات الآخرين بدون داع . وحرية الفكر لها حدود لا تتخطاها . واذا تخطتها لا تبقى حرية بل تكون استبدادا وظلما وتعديا على حقوق الغير وعلى حريتهم . ولا تجيز لصاحبها المسلم الحر أن يوافق ملحدين يبذلون الوسع لابطال كتب سماوية محترمة ومقبولة عنده وعند الشعوب اليهودية والمسيحية والاسلامية ومعمول بها فى مئات القرون . أى كل منهم يحترم ما يخصه من تلك الكتب . والفضيلة هى بين رذيلتين الافراط والتفريط واذا تعدى على حقوق الغير بالطعن والتحقير بالقول أو بالعمل لا تبقى فضيلة (بل رذيلة)

— ٧ — الاعتداد بالنفس

تقولون فى ردكم « ها نحن عرضنا لنقد هذه الكتب فماذا يريد القس حدادا ان يفعل ؟ وماذا فى استطاعته ان يفعل ؟ ولكن القس حداد هو المتكلم لا كردينالا من كرادلة محاكم التفتيش ولا رجلا من رجال مجمع الفهرست .. . لقد نشرنا هذا المقال من غير ان نعلق عليه ويمكننا ان نعيد نشرة مرة أخرى من غير ان نعلق عليه أيضاً بل وفى استطاعتنا ان نترجم كل كتب جمعية نشر الالحاد الامريكية وتوزعها بامنا

وتحت اعين القس حداد ومن هم على شاكلته . ومن هم على اكثر من شاكلته . وليفعل القس حداد بعد ذلك ما يشاء . . . اليس هذا إقراراً على انه توجد غاية وقصد عندكم بما نشرتم ؟

برافو !!! وهذه رجولة ومقدرة عجيبة و ياطا من براهين مقنعة و باهرة . وكم هو محبوب اسم القس حداد لديكم حتى تذكروه كثيرا وحقا ، من احب شيئاً اكثر من ذكره ، فاشكركم كثيراً على ذلك

والجواب المقدر من سؤالاتكم هذه ، ماذا يفعل حداد وليفعل ما يشاء الخ . . فى جمل تكررت فى ردكم مراراً انه لا يفعل شيئاً . لانه عاجز وضعيف لا يستطيع الرد على هذه الحجج القاطعة او يقاوم حاكما بامره يفعل ما يشاء و يريد . وكأنه بقوله يعلن حربا هى حرب القوى مع الضعيف . نعم فحداد لا يفعل شيئاً ولا سلطة له او قوة ليفعل . وهذا حق واسلم به لانى لست باستعدادكم للمناظرة والردود ، ولكن آداب الصحافة تفعل ومكارم الاخلاق لا تجيز التحقير والعلم الصحيح لا يكون موصلا الهزء والمذمات

وكذا فالقس حداد لا يعلن حرباً عليكم ولا يستطيع ذلك ومهما نسبتم اليه او افتكرتم عنه او تهكمتم لا يغتاظ منكم . بل يعلن الصلح معكم والصداقة ولا سيما بعد ان عرفكم هكذا كما انتم واطلع على مقدرتكم والاخلاق الراقية فيكم دونه

— ٨ — التعصب

انا مسيحى اغار للدين وادافع عنه كما يجب على وعليكم كمسلم ولا اعاب على بذلك ، وارفض نظرية الالحاد وما شاكلها بحرية ضميرى وافكارى . . ولاحيائى فى الدين دعوتمونى متعصباً وهذا كل ما قدرتم ان تقولوا . فلا بأس لان التعصب ليس بجريمة اقترفتها . انما يوجد فرق عظيم بين التعصب للدين من اتباعه وبين التعصب للالحاد من المسلم المؤمن بالله نظيركم والذى يحمد الله لانه مسلم . فانا أتعصب لنفسى فى دينى وانتم تتعصبون أكثر للملحدين فى الحادهم بعد ما نشرتم لهم تلك المقالة التى اعجبتكم كثيراً وتردون النقاد . . . وماذا يعمل حداد .

واذا كنت بالفرض متعصبا للكتب المقدسة و الدين فانى لا ارفض حرية

الفكر مطلقا كما تظنون بي بل احبذها مثلكم اذا لم يكن اكثر . ولا اوافق قطعياً على مس حرية احد واغتصابه في امور الدين الذى علاقته بين الانسان و بين الله فقط .
ولا اجبر ملحدا بدين لانى اعلم ان لا احد يطالب بغيره امام الله الديان العادل بل كل يطالب بنفسه في يوم الدين الرهيب والموقف المخيف الذى لا ينفع فيه الحاد ولا كفر ولا حرية فكر ولا مال ولا بنون ولا جاه ولا رتب ولا صحافة ولا محاماة الخ . ولا اكراه في الدين .

— ٩ — التعارف بيننا

حيث قد نسبتم الى ما انا براء منه وتوهمتم بما ليس فى فاعلمكم من انا

انا القس اسكندر حداد (كذا) بنعمة الله (كما امضيت كتابى المفتوح) من افراد الكنيسة الانجيلية القسوسية سورى المولد فلسطينى التبعة حالياً ولست من رؤساء الكثلكة ولا قاضياً من قضاة محاكم التفتيش كما قلتم تهكماً ولا من اصحاب الحكم عليكم مع علمكم بانه لا محاكم كهذه الآن ولا انا من قضاتها ولا أنتم ممن تستحقها كمرامنيا ولا خوف عليكم من ذلك أبداً . ومع ذلك لا تدرون مثالاً من احكامها على سبيل الاستهزاء فى ردكم وبالحق لو كان توجد محاكم وقضاة له حكم عليكم لما نشرتم في مجلتكم احتقار المسيح وبطلان الكتب المقدسة مطلقاً . وايرادكم ذلك المثال هو هزء بالسائل و باولئك .

ولا دخل لمحاكم التفتيش وأحكامها الآن بيننا . ولا يخطر على البال انى أطلب محاكمتكم أو تظنون بذلك . وكنا فى سؤال و جواب لا أكثر . ولم نزل فى ذلك السؤال بدون جواب صريح منكم . ولا يكفى التهويل ولا يفيد الفرار من الجواب

ولست مطراناً ولا كردينالا من رؤساء الكثلكة الذين اشرتم اليهم فى ردكم وتصرحون بأنى لست منهم وتحمدون الله على ذلك ولكنكم تخاطبونى بصاحب نيافته تهكماً وهزءاً فأشكر لكم لطفكم على هذا اللقب الوهمى الذى أوليتمونى إياه من فضلكم وأنا لا أستحقه ولا أريده قط ولا أقول ياليتنى أكون هكذا . فقبول وكل ما يأتيك من المحبوب محبوب .

ولست أيضاً من الذين أشرتم اليهم استخفافاً بهم بقبولهم سخافات وبيعهم غفرانات وتمسكهم بخرافات وتعاليم باطلة قد أدخلها رؤساء الأديان المختلفة لما رب شخصية

ومنافع مادية ولتغرين رياسة وسيادة . بل أقول ببطلانها ولا أسلم إلا بأقوال الله حسب الوحى الالهى لانبيائه الملهمين ورسله المكرمين

حضرتكم

أنتم حضرة اسمعيل بك مظهر من أهالى مصر الكاتب الاجتماعي الفذ والمؤلف البارع الشهير . والمترجم كتب داروين فى النشوء والارتقاء وأصل الأنواع المشهود له بطول الباع وسعة العلم والمعارف . والعصرى الحر الفكر المتساهل حتى مع الملحدين بمبدئهم كما أوضحتم فى النشر والرد . إلا من يعارض بشيء مثل القس حداد فتغتاظون منه وترشقونه كأنه استحق الرجم لأنه تجرأ على سؤالكم

أنتم مسلم بحمد الله على أنه مسلم ولكنه يمدح الالحاد ويحبذه وينشر مقالاته السمجة ويحامى عنه كأقدر محام . وبذلك يكون متعصباً أكثر منى ولكن للالحاد كما ينسب إلى التعصب للدين

وأمر مستغرب كيف يكون الانسان مسلماً حقاً ويحمد الله لأنه كذلك ويعجبه الالحاد ويساعد على نشر مقالاته وفى هجماته على كتب مقدسة . وإذا اعترض أحد الدينيين يقوم عليه بحدة شديدة واستخفاف

— ٩ — سعادة الملحد

قلتم فى ردكم . فما قول القس حداد فى أن الملحد الذى يلحد عن ايمان وعقيدة ينال من هدوء النفس ما ينال المؤمن المسلم بكل شيء تسليم ايمان ... فلماذا لا يكون الالحاد بدوره ديناً ككل الأديان ولماذا يستحق الملحدون احتقار القس حداد وأمثاله . وقد يجوز أن يكونوا أكثر اطمئناناً وسعادة بالحادهم من القس حداد بايمانه .

وهذا استنتاج عظيم . ومتى احتقر القس حداد الملحدين أمامكم . ومن افترى أولا . وما هو ايمان الملحد وبماذا يؤمن بغير ما يشاهد عياناً ؟ وهذا ليس بايمان ولا عقيدة . ولا يكون الالحاد ديناً وهو عدم الدين وهكذا فلا ننكر أنه يجوز أن يكون الملحدون فى اطمئنان وسعادة بالحادهم أكثر منا كما تفضلتم . وكذا فالحيوانات باطمئنان كلى أيضاً والمجانين أيضاً . وغير خفى على حضرتكم ان الخمرة والحشيش والمخدرات تنيل شاربيها لذة وكيفاً وسعادة أيضاً ولكن كله وقتى وفى بعض الساعات دون غيرها

وفى حياتهم الحاضرة فقط. وهنيئاً لهؤلاء الملحدين بهذه السعادة التى يعقبها الموت والعذاب. وتكون التعاسة أفضل لهم منها حين يقفون أمام الديان العادل الذى كفروا به للمحاسبة. وهذا رأينا بحسب اعتقادنا ولا نلزم أحداً به. «وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد» سورة ابراهيم. وفى الدين وحده راحة الفكر وطمأنينة النفس وسلام القلب دائماً فى الدنيا والآخرة

— ١٠ — ثبات الكتب المقدسة

قد أعجبتكم مقالة الالحاد «الكتب المقدسة فى الميزان» فنشرتموها فى عدد ١ : مارس سنة ٢٩ من المجلة وقلتم فى ردكم «لخصنا فيه آراء شارلس سميث رئيس جمعية نشر الالحاد فى أميركا. وماذا يعنى القس حداد أن يكون للمجلة جولة فى أبحاث حرة تتناول الدين فى أطرافها أو أن تكون مجلة ملحدة لاتؤمن بشىء». أقول ظننتم أن تحصل فوائد جمة للقراء منها. ولذلك لخصتموها فجاءت مشوهة بعد تلخيصها فى عشر صفحات بقطع المجلة الكبير ويعرف حضر فى تلك الجولة كلها طعن. وكيف لوجالت المجلة جولات عدة. الكن المقالة بتوقيع بدل البيلونى مترجمها من سانبولو. وليس بتلخيص محرر مجلة العصور الغراء.

ولم يعرف كم صفحة كانت المقالة لو نشرت بدون تلخيص. ولا بد كانت المنافع منها أكثر لخدمة الانسانية وفائدة القراء من النشء العصرى. وياويل الأديان وأصحابها إذ ذاك. ولكنكم ترفقتم وخففتم الوطأة عليهم بهذا التلخيص إذ قلت الاضرار بنوع ما فى هذه الكتب المقدسة التى اعترض عليها كثيراً منذ انزالها إلى الآن ولم يزل يعترض عليها أيضاً من ملحدين وطبيعيين وغيرهم. ولكن لم يحصل لها أقل تزعزع بل هى ثابتة كالصخر المتين ومقبولة ومنتشرة فى كل لغات العالم الكثيرة وفى جميع ممالك الأرض. وتوزع النسخ منها بالملايين سنوياً.

وقد اهتدى بها ألوف الملايين من البشر واستناروا وتجددوا ورجعوا عن الشرور والرذايل إلى حياة التقوى والفضيلة والصلاح والاخلاق الفضلى وتطوروا من ذئاب خاطفة إلى حملان وديعة. ولم يعمل الالحاد وأصحابه أقل شىء من الفوائد الحسنة فى كل أطواره وفى جمعياته منذ القديم ولحد الآن

— ١١ — رجال الدين

رجال الدين هم الذين حفظوا الكتب العلمية فى الاجيال الماضية وحافظوا على العلوم والفنون . والفلاسفة الذين أخذت الفلسفة عنهم من اليونان وغيرها ما كانوا ملحدين وبلادين ومعبودات الامن ندر منهم

ولو لا الأديان الألهية لما انتشرت العلوم فى البلدان العديدة قبلا ولافتحت المدارس وتشيدت المعاهد والكليات والجامعات والملاجىء الخ. ولما ارتقى الغرب من الهمجية . ولا تخلص الشرق من نير الوثنية الثقيل ولبقى الجميع فى الجهل والغباوة

والدين هو الذى فعل فرقى المجتمعات البشرية ولم يزل يفعل . وتعلمون كيف كانت حالة العرب وأفريقيا قبل انتشار الدين الأسلامى . وكيف كانت همجية الغرب قبل اعتناق شعوبه الدين المسيحي . الدين هو سبب الحضارة الحقة والثقافة العظمى والتمدن الصحيح . ولكن جزاءه من الملحدين والعلماء العصريين الذين تخرجوا من كلياته وجامعاته نكران الجميل . ورحم الله من قال بعد تعليمه

وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى

وفى جواب أحد الأسئلة قلتم . فما هو دخل الدين فى النظام الاجتماعى . ولكى تؤيدهذا القول بالمشاهدة ندعو النفس حدادا أن يذهب الى جزائر تاهيتى أو جزائر أرض النار أو مجاهل استراليا ليرى بعيني رأسه أقواما لا دين لهم على وجه التقريب ومع كل هذا فان لهم من القوانين (العادات) ما يقوم عليه نظامهم الاجتماعى.

أقول ان هؤلاء لا يحسبون ملحدين ولايفهمون ما هو الالحاد . وليسوا بلادين بالكلية . والانسان بالفطرة ديني حتى ان البرابرة لهم دين بحسب معرفتهم ولو ذهب مبشر إلى أولئك الناس وبشرهم بالدين الآلهى لقبلوه بكل سهولة . وعرفوا الخالق علة وجودهم وآمنوا به . ولكن إذا ذهب دعاة الالحاد إلى آكلة لحوم البشر فى بعض الجزائر وبشروهم بالحادهم فماذا ينتج من ذلك؟ أيصير تمدن ورقى واصلاح فى أخلاقهم وعوائدهم الرديئة الوحشية كما ينتج من الدين . أو إذا أرسلتم اليهم تلك المقالة التي يقصد بها أبطال الكتب المقدسة فماذا تكون النتيجة من تلك البشارة وأية سعادة يحصلون عليها من ذلك ؟

الختام

ان كنتم كررتم اسمى بردكم على القس حدادوهو واحد لا أكثر . وتذكرونه تارة كمخاطب موجهين الكلام اليه وتارة كغائب هزءاً به وتخاطبون القراء متظلمين منى وتشكون اليهم فارين من المجاوبة على سؤالى الذى أغاظكم . وتارة كصاحب نيافة لكم فهذا كله لا يغيظنى لأنه لا يحسب قوة برهان ولا عظيم حجة للاقناع . بل وان ازددتم أكثر لا أغتاظ . وأحيل الحكم بيننا الى قراء المجلة الكرام والى علماء الاسلام الأفاضل الذين أنتم واحد منهم والى الرأى العام ليحكموا بعد اطلاعهم على كتابى المفتوح اليكم وردكم عليه وعلى ردى هذا وعلى ما ترون كما تشاؤن أيضاً

وبعد ذلك فلينظروا فى أنه هل يحق لمسلم يؤمن بالله وبما أنزل منه أن ينشر مقالة ملحدين على رؤوس الملأ فى مجلة الراقية التى شعارها « انتقادية فى الأدب والعلم والسياسة » فقط ليقرأها المشتركون فى المجلة وغيرهم من كل طائفة ؟ . وهل تلك المقالة أدبية أو علمية أو سياسية ؟ . وهل حرية فكر الصحافى الراقى تجيز له أن يوصل طعن الملحدين فى الكتب المقدسة لاصحابها وهو مسلم ؟ . وهل أن آداب الصحافة الحرة ومكارم الاخلاق توافق على نشر تحقير فى الكتب السماوية وفى صعود المسيح الذى يؤمن به جميع المسلمين أنه من روح الله وتأيد بالروح القدس وبأنه وجيه فى الدنيا والآخرة . ويشهد القرآن الشريف بذلك ويثبت صعوده بقول الله له « انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا (بك) الى يوم القيامة » سورة آل عمران وكذا القول « وسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » سورة مريم

ومنذ الف وتسعمائة سنة يعيد مئات الملايين من جميع الطوائف المسيحية لهذا الصعود سنويا ولا يظن بأن مسلما يرضى بهذا التحقير المار ذكره وبتكذيب الكتب المقدسة التى هى نور وهدى للعالمين

وختاما أطلب اليكم بحق حرية النشر وحرية الفكر أن تنشروا ردى هذا فى مجلة

العصور القراء كما هو بحروفه تماماولوكان طويلا (١) لانه آخر ردمني واكتفي ولاأزيد ولورددتم مهمارددتم . وأنتظر من لطفكم وشهامتكم أن تفعلوا ولكم مزيد الفضل والشكر سلفاً والسلام

القس

بيت جالا فلسطين في ٣ تموز سنة ٩٢

اسكندر حداد

العصور — نشرنا المقال السابق عملا بحرية النشر ونترك للقراء الحكم عليه بعد أن يرجعوا إلى سؤال القس حداد وردنا عليه . ولا يفوتنا أن ننبه القراء أننا ما نشرنا المقال على علاته بل أصلحنا فيه أكثر من مائة غلطة لغوية ونحوية وعجزنا عن اصلاح الاسلوب . وكذلك نسأل القس حداد سؤال الواحد . فهو يقول في أول المقال أن حرية الفكر لا تحتقر الاديان — ونحن نسائله : وهل تحتقر الاديان حرية الفكر ؟

---

(١) ومن الممكن نشره في غير مجلة العصور

النقد والتأليف

١ – مرجريت أوغادة الكميليا

نقلها عن الفرنسوية الدكتور احمد زكي ونشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر مطبوعة في مطبعة الاعتماد طبعة ثانية — ١٩٣٩ — في ٢٧٨ صفحة من القطع الكبير ومصدرة بمقدمة من قلم الدكتور منصور فهمي

تنظر في الصفحة الأولى فتهيجك الذكرى الى حوادث قرأتها وأنت صغير إن كنت بلغت الاربعين مثلي . أما اذا كنت لا تزال فتى في مقتبل العمر، فتتوقع انك سوف تقرأ شيئاً يلذ لك أن تقرأه، لان رواية تطبعها لجنة التأليف والترجمة والنشر، بعد ان يقرها أعضاء اللجنة وهم من نعرف من الاساتذة والادباء، لابد من أن يكون فيها من المتعة الادبية ما يرضيك .

غير انك لا تقلب هذه الصفحة وتمر عينك على « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم كلمة « المقدمة » الا وتقع على هذا السطر الطويل المكتوب بحروف الرقعة الضخام واليك هو :

« بقلم الفيلسوف الكاتب الدكتور منصور فهمي »

فلا تلبث أن تقول في نفسك « سبحان واهب الالقاب » !!! أو « سبحان فرضي العالم » .

وقديماً قرأت مقالا للمرحوم المنفلوطي تحت عنوان « خداع العناوين » محصله أن للعناوين خداعا وان لها أثراً نفسياً شديداً . ولقد أنحى المرحوم المنفلوطي على من يتخذون خداع العناوين ذريعة لرواج البضاعة . وفكرت طويلا في هذا السطر ثم في ذلك العنوان ثم قلت « خداع العناوين » في الماضي انقلب في هذا الزمان فصار « خداع الالقاب » . ثم قلت ان هذا على كل حال لا يليق بلجنة التأليف والترجمة والنشر ، ولعلها سقطة ليس للجنة فيها من يد . فقد جرت العادة في هذه الأيام أن

يرسل صاحب الكتاب الى الصحيفة او المجلة كتابه مصحوباً بتقريظ ينشر من غير أن يراه محرر المجلة أو رئيس تحرير الجريدة : وربما تكون العدوى قد سرت الى المقدمات . فترسل المقدمة مع اسم صاحبها وألقابه ، ويصبح نزع لقب من الالقاب جريمة لا تغتفر .

ثم تنتقل الى الرواية ذاتها فتقع على اسلوب من السهل الممتنع قد ملىء جمالا وزاده انتقاء الالفاظ روعة ، فكان فى أول الرواية كما هو فى آخرها صورة صحيحة لمقدرة الكاتب وتضلعه من اللغتين المنقول عنها والمنقول إليها . فاذا أضفت الى هذا الامانة فى النقل والمحافظة على المعانى الاصلية التى ارادها « دوماس » وعرفت فوق ذلك ان الكاتب كثيراً ما ضحى باللفظ فى سبيل المعنى ، وذلك قليل فى الرواية لحسن الحظ ، كما أنه دليل ساطع على مقدرة المترجم ، لم يكن لديك بعد هذا ما تقول فى نقد هذه الترجمة الفذة التى جاءت ، كما قال حافظ ابراهيم : « كالحسناء وخيالها فى المرآة » .

اما إذا أردت على صحة مذهبي فى اسلوب الرواية وترجمتها من دليل فاقرأ القطعة الآتية ! وهى من كلام مرجريت لدوفال :

ـــ « انه الحق . انا معاشر المخلوقات الموكلات الى الاقدار ، لنا من الاهواء أعاجيب ومن الحب صنوف لا يتصورها انسان . طوراً نهب أنفسنا لأمر وتارة نهبها لغيره . ومن الناس من يفلس نفسه ولا ينال منا قليل شيء ، ومن الناس من ينالنا أجمع بباقة زهر . قلوبنا بها أهواء هى وحدها معاذيرها . وقسما لقد وهبتك نفسى أسرع مما وهبتها لأحد غيرك . ولم ؟ لانك وجدتني أبصق الدم فأخذت يدى لانك بكيتنى . لانك المخلوق الوحيد الذى رحمني . لا بأس عليك من السخافة التى سأذكر . كان لى فى زمانى جرو كان يلحظني لحظ الحزين عند ما أسعل فهذا من الخلق أجمع من أخال أنى أحببته . ولما مات بكيته فوق ما بكيت أمى . لست انكر انه عاش معى اثنتى عشرة سنة من حياته . والآن قد أحببتك سريعاً قدر ما أحببت كلبى هذا ـــ ألا لو عرف الناس ما وراء دمعة تسيل . لكانوا أسرع فى الدخول الى قلوبنا منهم . وكنا أبطأ فى إخرابهم مما نحن » . . . .

واستطردت مرجريت

— «وبعد فقد كنت الوحيد الذى حسبته يستطيع فهم آرائى وأقوالى سريعاً اذا أنا فكرت صريحا أو تكلمت بلا كلفة . على حين أن من يلتفون حول فتاة مثلى لا يفوتهم ان يمعنوا فى كل كلمة تفوه بها و يستنتجوا اعقد الامور من أتفه أقوالها . نحن بالطبع ليس لنا أصدقاء ، بل أحباب اثانيون ينفقون اموالهم علينا كما يدعون ، ولكن على اهوائهم . وهم لا يرضيهم منا الا ان نظهر بابتهاج إن كانوا مبتهجين ، او بالصحة والشهية ان كان العشاء معنا ، والا نظهر بالشك مثلهم فى كل قضية وحقيقة من حقائق الكون وقضاياه . ونحن غير مأذون لنا فى أن يكون لنا عاطفة او بقية من قلب . ومن اذن لنفسه منا بشيء من ذلك فسرعان ما تضيع الثقة فيه ويطارد بالصياح خلفه والنباح . لم نعد بعد ملكا لانفسنا . لسنا من الاحياء ، ولكنا من الاشياء . اذا تولى الناس حب ذواتهم وملكتهم سورة شهواتهم ،وضعونا فى المكان الاسمى و الذروة العليا ، حتى إذا جاءت ساعة التوقير والاحترام ، فلنا المكان الاسفل والمرتبة الدنيا » الخ .

ولعلى أكون قد اخترت على هواى أيها القارىء ... فارجع إلى الاصل لترضى نزعتك بما يلائم هواك ، وانا الكفيل بأنك سوف تقع على بغيتك ، و ان بلغته بك غرائب النزعات مبالغها القصوى .

* * *

٢ ـ سفر التكوين

بحث نظرى فلسفى تشريحى لبيان من هو كاتب هذا السفر ؟ الذى هو أقدم سفر تاريخى فى العالم والغاية من كتابته . تأليف الاستاذ جبر ضومط ب. ع. م. ع. بالجامعة الامير كانية فى بيروت . أخرجته مطابع قوزما فى ٦٤ صفحة من القطع الكبير ، والعناية ظاهرة فيه من كل ناحية .

يحاول الاستاذ الكبير جبر ضومط أن يثبت بهذا الكتيب ، على حد قوله فى اهدائه الينا ، ان كاتب سفر التكوين هو يوسف الصديق ابن عم موسى و ابن يعقوب — اسرائيل — عليهم السلام . على أنه إذا صح ما يذهب اليه النقاد من ان ذكر وفاة موسى ووصف دفنه من أسفار التوراة دليل قاطع على أن موسى لم يكتب هذه

الاسفار ، صح لدينا أيضا أن ذكر وفاة يوسف فى آخر سفر التكوين دليل على أن السفر لم يكتبه يوسف .

جاء فى آخر سفر التكوين اصحاح ٥٠ : ٢٢ إلى ٢٦ ما يلى :

«وسكن يوسف فى مصرهو وبيت أبيه . وعاش يوسف مائةوعشرسنين . ورأى الافرايم أولاد الجيل الثالث . وأولاد ماكير بن منسى أيضا ولدوا على ركبتى يوسف وقال يوسف لاخوته أنا أموت . ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الارض إلى الارض التى خلف لابرهيم واسحاق ويعقوب . واستحلف يوسف بنى اسرائيل قائلا الله سيفتقدكم فتصعدون عظامى من هنا . ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين . فحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر» . . . وهنا ينتهى سفر التكوين .

ولا جرم أن من أصعب الصعاب أن نحقق تاريخيا أو اخباريا على حد قول الاستاذ الكرملى — ما يختفي وراء مثل هذه النصوص الصريحة من الوقائع الصحيحة . فاذا كان كل ما فى سفر التكوين سياق واحد فى قصة ابراهيم وأولاد ابراهيم من أبناء العبرانيات لا من أبناء الاماء كما يذهب الاستاذ ضومط ليكون دليلا على ان اهتمام يوسف وجه الى جده الاكبر ابراهيم وأولاده الذين انحدرمنهم يوسف ، وان هذا دليل على أن يوسف كتب هذا السفر ، فلماذا يقتصر الدليل على يوسف ولا يتعدى إلى موسى ، ما دام لموسى فى ابراهيم جدهما الاكبر من الحق بقدر ما لموسى ، وما دام أن موسى ويوسف نبيان ، أو بطريقان ، على حد قول الاستاذ ، وأن ما يشير اليه أحدهما فى سفر التكوين جائز أن يكون فخراً للاخير كما هو فخر للاول ، وان الاحتفاظ بسيرة ابراهيم وأولاده من العبرانيات كاملة ظاهرة جلية ، تفيد يوسف كما تفيد موسى؟

على انى والحق يقال قد أعجبت على الرغم من اكبابى على درس سفر التكوين على الاخص وبقية أسفار التوراة على وجه العموم ، بكثير من الملاحظات التى أدلى بها الاستاذ ، والبراهين التى أيد بها مذهبه . فانها ملاحظات وبراهين قد فاتنى الكثير منها . وكان كتاب الاستاذ أول حافز لى على مراجعتى لها واعادة درسها فى ضوء أقواله الجديدة .

هذا ما أرى فى هذا الكتيب الصغير . غير أنه لا يجدر بى أن أترك الكلام فيه من غير أن أشير إلى نقد الكتاب ظهر فى مجلة « لغة العرب » للاستاذ الكرملى ببغداد وهى مجلة لها فى نفسى كبير الاحترام . فبعد أن شرح مرمى الكاتب وبعد أن وجه اليه بعض الانتقادات اللغوية والنحوية قال :

« وهناك عدة أدلة تنقض ما جاء فى هذا الكتاب لا محل لذكرها هنا إذ ليس هذا البحث من موضوعات مجلتنا ، فنطلب من حضرة الاستاذ المعذرة » .

ونحن نتساءل — إذا لم يكن هذا موضع سرد هذه الادلة التى تنقض ما جاء فى الكتاب ، فأين موضعها ؟

ثم جاء فى ذلك النقد بعد ذلك ما يلى :

« أما عبارة هذا التصنيف فركيكة . وما كنا نتصور أنها تصدر من قلم الصديق لكثرة ما فيها من الاوهام وقد لا يرتكبها الطلبة ، فكيف به وهو أستاذ الاساتذة » .

والحقيقة أن هذه الجمل لا يحسن أن تصدر عن مجلة « لغة العرب » فى حق زميل لصاحبها الاستاذ ضومط . وكان من الواجب أن يراعى الكاتب ظروف الاستاذ وسنه وطول جهاده المبرور فى سبيل اللغة وأهل اللغة . على أنه مما يسليني أن للغة العرب فى رد الالفاظ الى أصولها المنحوتة عنها أوهاماً لو أردنا عدها لفاتنا الحصر .

٣ — ابراهيم باشا فى سوريا

هو تاريخ بدء النهضة الحديثة فى الشرق الادنى وأحوال سوريا فى عهد محمد على وثورات السوريين ودروز حوران على حكومته وصفحة من تاريخ المسألة الشرقية ومطامع دول أوربا فى البلاد العثمانية . تأليف الاستاذ سليمان أبو عز الدين طبع ببيروت فى المطبعة العلمية ليوسف صادر — ١٩٢٩ — فى ٣٤٤ صفحة من القطع الكبير حسن الطبع والورق .

يمتاز هذا الكتاب بطلاوة أسلوبه ، حتى انك لا تستطيع أن تميزه عن اخص الاساليب المصرية البسيطة الجميلة ، لو لم يقع نظرك على أنه صادر عن بيروت وعن أديب سورى بحت . أمعن فى البحث واستقصى الموضوع من كثير من أطرافه الهامة

التى تخرج الكتاب سفراً تاريخيا طريفا فى الفتح المصرى لسوريا فى عهد محمد على. وما ترتب عليه من النتائج الاجتماعية والسياسية

وأخص ما يمتاز به هذا الكتاب أنه أظهر بجلاء. ووضوح النتائج الاجتماعية الاصلاحية التى يتحتم على شعب غاز أن يأخذ بأسبابها اذا ما أزمع غزو أمة مجاورة له. وهذه ميزة قلما تجدها فى كتاب من الكتب التى اختصت بالكلام فى تاريخ الفتح المصرى لسوريا فى عهد محمد على وابنه ابراهيم، فلقد أوضح الكاتب بمهارة فائقة أن الفتح السورى كما كان نصراً حربيا كان خذلانا سياسيا لمصر فى سوريا. وبمثل هذه المهارة اظهر الكاتب ما جنت مصر من ضروب الاصلاح الاجتماعى لتكون على الاقل قادرة على القبض على زمام الحالة فى سوريا — التى كانت تجعل مهمة الفاتح والحاكم محفوفة بالمشقات لاختلاف نزعات السكان وصعوبة مراسهم ووعورة المسالك وانتشار النظام الاقطاعى ولكثرة المتغلبين واصحاب الامتيازات المحلية. والامتيازات المحلية لم تأت أصحابها عفواً بل نشأت فى أكثر الاحوال عن أسباب وضرورات كانت مبررة لوجودها عند نشوئها، كقيام أصحابها بنصرة حزب أو مبدإ أو عجز الدولة عن حماية أرواحهم وأموالهم واضطرارهم للذود عن حياتهم بسلاحهم. وعلى كل حال فان من تمتع بحق ما ردحا من الدهر لا يهون عليه التنازل عنه بدون عوض مهما كان منشؤه ولا يصبر على سلبه منه فوراً وبدون مقاومة. كما أن الحاكم القادر لا يسمح بقيام مملكة فى وسط مملكة. وثبات الملك وانصاف المحكومين يستوجبان نفوذ سلطة الحاكم ومساواة الرعايا فى الغنم كحماية الارواح والحقوق، وفى الغرم كالتجنيد ودفع الضرائب. ولا سبيل الى بلوغ هذه الغايات إلا اذا كان شعار الحكومة الحكمة والعدل واهتمامها موجه الى اسعاد الرعية وتوطيد دعائم العمران والأمن وكانت لديها قوة يرهبها ويحترمها المحكومون — هذا مثال من الكتاب وهو كاف عندى لتعريف القراء بماهيته.

وقد صدر المؤلف الكتاب بمقدمة وجيزة بين بها الغرض من الكتاب والاسلوب الذى اتبع فى تأليفه، وكذلك أثبت فيه أسماء كل الكتب التى رجع اليها فى تواليفه، كما أتم فائدته بكثير من الخرائط والرسوم التاريخية وصور المشهورين

فى تلك الحوادث . والكتاب ككل تأليف ينشد الحق والحقيقة يختم بعبارة ملؤها العظة التاريخية إذ يظهر لك كيف غرم الشرق وغنم الغرب

٤ـــ عقد الايجار

هذا الكتاب حلقة من شرح القانون المدنى فى العقود وهو خاص بايجار الأشياء. تأليف الأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى دكتور فى العلوم القانونية والاقتصادية والسياسية ودبلوميه من معهد العلوم الدولية بجامعة باريس ومدرس القانون المدنى بكلية الحقوق . نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر ـــ ١٩٢٩ ـــ مطبوعاً طبعاً أنيقاً فى مطبعة دار الكتب على ورق جيد فبلغت صفحاته ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير

لقد تكونت لدينا بالفعل مكتبة قانونية حديثة نادرة المثال فى كل الأمم التى تنطق بالضاد وهذا الأمر يكاد يكون الأساس الوحيد الذى يقوم عليه التقدم فى ناحية من أهم نواحى الاصلاح المدنى المنشود بل انه قاعدة من قواعد الحضارة التى نريد أن نقيمها فتكون مصرية بحتة فى ثوب حديث . ولقد ساعد على اظهار هذه التواليف فى هذا العصر أمران : أولهما علاقة مصر بالقانون الفرنسوى وبعلماء فرنسويين منذ سنين عديدة لا يقل مداها عن ثلاثة أجيال : وثانيهما مرونة فى اللغة العربية وسعت كل المصطلحات القانونية ، حتى لقد أخبرنى أحد المتضلعين من القانون الفرنسوى يوما انه يرى ان اللغة العربية من أخصب اللغات فى المصطلحات القانونية وانها من أطوع اللغات على التعبير عن المعانى القانونية الدقيقة .

ونحن نكتفى هنا بنقل تصدير الكتاب وقد نشر تحت عنوان « كلمة افتتاحية » ثبتنا بنصها لانها خير وسيلة نعرف بها الكتاب للقراء مادمنا نتحاشى النقد فى موضوع لا علم لنا به . قال الكاتب :

« هذا كتاب فى الايجار أخرجته وأنا أول من يحس مواضع النقص فيه ، وقد قضيت فى تأليفه زهاء ثلاثة أعوام ، ولم يصح عزمى على اخراجه الا بعد ما قدرت انه يسد فراغا . أيا كان مبلغ التوفيق فى وضعه ، فقد ظهرت كتب قيمة فى شرح

معظم اجزاء القانون المدنى المصرى ، ولم يكد يبقى الا الايجار بنوعيه : إيجار الاشياء وإيجار العمل . فتوليت فى هذا الكتاب شرح إيجار الاشياء ، مستبقياً مايسمى « بايجار العمل » الى مؤلف آخر وعندى لذلك سببان :

(أولهما) انى فضلت أن أخص بكتاب كل عقد من هذين العقدين ، حتى يتسع المجال لشيء من الاسهاب والتفصيل ومقارنة الشرائع ، وحتى لا يقتصر البحث على الوجهة العلمية ، بل يتناول الناحية العملية أيضاً هذه الناحية تلمستها فى قضاء المحاكم ، فافسحت للقضاء المصرى والقضاء الفرنسى من حواشى الكتاب ، ولم أتهيب فى ذلك ان ترتفع هـــذه الحواشى حتى تأ كل من الصحيفة نصفها أو أكثر ، فأن القانون مادة حية غذاؤها التطبيق العملى ، ولو اقتصر الأمر فيه على المنطق المحض ، ولم يلامس الحاجات العملية ، لكان علماً نظرياً ، ولأخطأ التوفيق فيما خلق من أجله . وقد كان للقضاء المختلط فى هذا الكتاب نصيب أوفر من القضاء الأهلى . ولا أدرى ان كان هذا راجعاً لنقص فى المجموعات التى تنشر أحكام المحاكم الأهلية ، أو أن المحاكم المختلطة تعنى أكثر من زميلاتها بالتبسط فى ارجاع الأحكام إلى أصولها القانونية . وأكثرت من الحواشى من الاشارة إلى المراجع التى يحتاج اليها الباحث إذا أراد التعمق فى موضوع من الموضوعات . وكذلك سجلت فيها النصوص القانونية من أهلية ومختلطة وفرنسية وشرعية ، معتمداً من الشريعة الأسلامية على كتاب مرشد الحيران . »

« (وثانيهما) هو أن الاتجاه العلمى الحديث لايجمع فى عنوان واحد بين إيجار الأشياء وعقد الاستصناع والعمل (إيجار العمل) لأسباب بينتها فى مقدمة هذا الكتاب ، فجاريت هذا الاتجاه الحديث ، وأفردت لكل عقد كتاباً قائماً بذاته » .

« وانى أرجو أن لاتكون عثراتى فى هذا الكتاب فوق ماقدرت ، وأن أسد به من الفراغ القدر الذى أملت » .

ونحن ازاء هذا المجهود المشترك الكبير من جانب الاستاذ المؤلف ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، لا يسعنا الا أن نظهر اغتباطنا الشديد ببوادر هذه النهضة التى وضعت مصر فى موضع التاج من مفرق الامم الشرقية .

٥ ـ الخواطر العراب

فى النحو والاعراب

تأليف الاستاذ جبر ضومط م . ع أستاذ اللغة العربية فى المدرسة الكلية السورية الانجيلية فى بيروت . والكتاب مهدى الى المرحوم جورج بوست م . ع . د . ط د . ج . س. د. ش . وهو مطبوع فى المطبعة الأدبية سنة ١٩٢٨ — طبعة ثالثة واقعاً فى ٣٤٨ صفحة من القطع الكبير مضبوط الشواهد وبعض العبارات ضبطاً حسناً وعلى ورق جيد .

ان شهرة الاستاذ ضومط غنية عن التعريف وخدماته الجليلة للغة العربية معروفة ذائع أمرها بين الناطقين بالضاد ولا تقتصر أعماله على قواعد اللغة ذاتها فان له فى فلسفة اللغة جولات واسعة ، وآثار خالدة

هذا فى الاستاذ المؤلف . أما فى الكتاب نفسه فما لا نستطيع ان نعرف الكتاب بأبين مما عرفه به الاستاذ نفسه فى كلمة ننقلها بحذافيرها اعترافاً بما للكتاب من قيمة وتعريفاً به على أبين صورة :

« النحو قسمان قسم مصطلحات او تسميات تضاف اليها احكام خاصة وقسم فهم وتمييز . وهذان القسمان لا ينفك احدهما عن صاحبه ولا بأس من ان نطلق على القسم الاول اسم النحو ،وعلى الثانى الاعراب وان كان علم النحو عند الاطلاق يشملهما معاً . »

« بناء على ما تقدم، فقد يراد بالنحو معرفة ما يراد بالاصطلاحات التى لا بد منها فى هذا العلم كمعرفة المعرب والمبنى والعامل والمعمول وعلامات الاعراب والبناء وماذا يلحق كل نوع منها من انواع الكلمة الثلاثة الى آخر ماهنالك فضلا عن معرفة ما يراد بتسميات خصوصية الاحوال اولاعتبارات خصوصية كالمبتدإ والخبر والفاعل ونائب الفاعل والمفعول به وفيه وله الخ وكالحال والتمييز والاستثناء والنعت والتوكيد والبدل الخ فان جميع هذه مما ذكرناه ومالم نذكره لابد لمتعلم النحو من معرفته وحفظه . »

« الا أن هذه المعرفة لوحدها قشور لا فائدة منها . ما المنفعة ايها الطالب العزيز من معرفتك حد العامل والمعمول غيباً وانت لا تميز بين الواحد منهما وصاحبه في المركب؟ ام اية فائدة تستفيد من مجرد استظهارك غيباً ان المبتدأ قسمان والخبر اقسام وانت لا تميز المبتدأ من الخبر في الجملة ؟ » .

« ايها الاخ الاستاذ هب ان تلميذك حفظ عن ظهر قلبه (وينبغي ان يحفظ) ان المرفوعات هي المبتدا والخبر والفاعل ونائبه و . و . الخ والمنصوبات هي المفاعيل والاستثناء والحال والتمييز و . و . والمجرورات هي المجرورات بالحروف او بالاضافة على التفاصيل المذكورة في المطولات النحوية . والمجزومات (والمنصوبات ايضا) هي الفعل المضارع على الشرائط الكثيرة المعروفة — هبه حفظ كل هذه كما يحفظ — ابانا الذي في السموات . او سورة الفاتحة — ولكنه لا يستطيع ان يميز ما اذا كان هذا المرفوع مبتدأ او خبرا ولا هذا المنصوب مفعولا به او حالا . ولا هذا المجرور مجروراً بالاضافة او بالتبعية فما الفائدة من هذا الحفظ ؟ » .

« إن من لا يستطيع ان يميز ان هذه الكلمة مثلا تستحق الرفع فيرفعها غير شاك في حكم وتلك تستحق النصب او الجر فينصبها او يجرها كذلك . فاولى به أن لا يتعرض لدرس هذا العلم ولا يكد قريحته به اصلا . والاستاذ الذي لا يتطلع الى أكثر من أن يملأ ذاكرة تلميذه بحدود المعرب والمبني والمنصرف وغير المنصرف وباقسام المبتدا والخبر الخ فاقل ما يقال فيه انه لم يؤد امانة العلم حقها . » .

« إن علم النحو اذا اقتصر فيه على مجرد الحفظ من غير إشراف على فهم او تمييز كان مصيبة واية مصيبة على المعلم والمتعلم معاً اما إذا صحبه الفهم وبعبارة اخرى إذا اقترن بالاعراب فهو من اجل العلوم التي تعلم في المدارس لغاية ترويض العقل وتنبيه قوى القياس والاستنتاج لا يفضله في ذلك علم من العلوم بل هو من هذا القبيل يكاد يفضل على الرياضيات والمنطق والفلسفة العقلية معاً » .

« جرب نفسك وافتح كتاباً واقرأ وضع علامات الاعراب و البناء المقتضاة لكل كلمة تقرأها فانك تشعر من نفسك ان لا بد لك من ان تشغل أعلى قواك العاقلة اعني قوى الفهم والتمييز وقوى القياس والاستنتاج . ثم ما لم يكن فهمك صحيحاً وقياسك واستنتاجك كذلك

فكل لفظة تلفظها تؤذن بجهلك وتنم بضعف فهمك وقلة تمييزك فالفهم الفهم اذن ايها الطالب العزيز والتفهيم التفهيم ايها الاخ الاستاذ .»

«ان الخواطر العراب مراد بتأليفه الفهم اكثر مما هو مراد الحفظ وإليك اطلب ايها الاخ المعلم ان توجه التفاتك الى ان يفهم تلميذك مايقرؤه وافضل محك لذلك ان يطبق القواعد على الامثلة والشواهد . فان لم يكف الموجود من هذه فاضف اليها ماتراه ملائماً حسب الحاجة . والمرجح عندى ان التلميذ اذا فهم الاحكام والضوابط النحوية حق الفهم وطبقها على ما امامه من الأمثلة والشواهد بعد ان يفهم معناها اجمالا ومعنى مفرداتها مفصلا، فتلك الشواهد والامثلة ترسخ فى ذهنه وتصبح من بعض محفوظاته ايضاً. فان لم تصبح من محفوظاته فأشير عليك أيها الأخ الاستاذ ان تطالبه بحفظ معظمها إن لم يكن كلها فان هذا الحفظ من قبيل تعلم اللغة امر مقصود بالذات يتعلم له الصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع وكل علم يتعلق بفصاحة وبلاغة ،بل حتى علم المنطق قد يتعلم واسطة ليتوصل بذلك الى اتقان تعلم اللغة وفهم مغازى الكلام ومراميه فتأمل .»

«اذا فهم تلامذتك أو معظمهم ايها الاخ الاستاذ مايقرؤون من الخواطر العراب حق الفهم فلا تطالبهم حالا ان يمتد بهم الفهم الى حيث هو عندك ولا ان يسرعوا فى احضار مافهموه مع الاصابة التى ترضاها كما تسرع انت ،فان ذلك (اى سرعة الاحضار مع الاجابة وامتداد الفهم) متوقف أما على شدة ذكاء التلميذ او على كثرة المراجعة واعمال الروية ،وهيهات ان تجد دائما تلميذاً سريع الفطنة شديد الذكاء اذا مر به شىء انطبع على لوح ذاكرته وفهمه كما تنطبع صور المرئيات على الواح التصوير الشمسى الحساسة ثم لايعود يمحى من هناك فانك إذا طلبت ان يكون كل تلامذتك على شاكلة من وصفنا فقد طلبت شيئا يكاد يكون مستحيلا . فاقنع اذن من اغلبهم ان يفهموا ابتداء ماتفهمهم اياه وكل أمر الأحضار مع السرعة والاصابة وامتداد الفهم إلى الايام وكثرة المراجعة . ولا يسوءك ماتراه كثيراً من تباطىء البعض وغفلة الكثيرين عما ترى التباطؤ فيه تقصيراً والغفلة عنه ذنباً، واذكر اننا لم نكن منذ بضع سنين نفهم ما نفهمه الآن ولا نحضر مانحضره بالسرعة التى نطلبها من تلامذتنا الآن .»

« قلت ان الخواطر العراب موضوع للفهم أكثر مما هو للحفظ » وأزيدانه منظور فيه إلى تنشئة التلميذ على الاعتقاد ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لامستعصية عليه مستبدة بعنوان آراء النحاة حتى المشهورين منهم إن لم تطابق المنقول عن اللغة فيما يحتاج فيه الى النقل او المعقول فيما يحتاج فيه العقل فهى مما لا يعتد بها وحسبي من الاخ الاستاذ ان ينشىء تلامذته على الفهم فى النحو كما ينشئهم على حفظ مفردات اللغة وشواهدها البليغة وان يصلح عن طريق العقل والنقل كل مايحتاج إلى الاصلاح فى الخواطر العراب وإذا تفضل إلى مطالعتى بما يراه محتاجاً الى الاصلاح أو التعديل ، كنت بغاية المنة والشكر لتفضله واختم بتقديم الشكر الجزيل لصديقى الاستاذ الفاضل داود افندى قربان على كثير من الملاحظات والاصلاحات والتعديلات التى اشار اليها فى اثناء وقوفه على المسودات المقدمة للطبع كما انى اشكر الاستاذ نجيب افندى نصار على ملاحظته مسودات هذه الطبعة. والحمد لله اولا وآخراً اللهم اجعل كل اعمالنا خالصة لوجهك الكريم وقنا شر انفسنا وارحمنا برحمتك انك ارحم الراحمين وخير المسؤولين آمين . »

٦ — العدل الآلهى

وابن اثره فى المخلوقات

تأليف الاستاذ حسن حسين يقع فى ٨٨ صفحة من القطع الكبير مطبوع فى مطبعة المقتطف والمقطم طبعاً حسنا وعلى ورق جيد

بدأ المقدمة بهذه الكلمات :

(١) « ما كل مايعرف يقال ولا كل ما يقال جاء أوانه ولا كل ما جاء أوانه حضر أهله »

الامام على

(٢) « ليس فى العالم شىء هو خير بذاته ولا شىء هو شر بذاته ، بل بالوضع . وقد ينقلب الخير شراً والشر خيراً ، فلا تكون هنالك حقيقة »

ارسطو

(٣) « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »

قرآن كريم

يهتم الاستاذ حسن حسين بالبحث فى الغيبيات ، بل وفى اكثر مباحث الغيبيات التواء وتعسراً على الفهم . فمسألة العدل الآلهى والبحث عن اثره فى المخلوقات من تلك الابحاث التى يجد فيها لذة ويكب عليها كل اكباب .

ولقد بحث كثيرا فى مسألة الارواح ونقل مذهب يوجا الهندى وهو مذهب قائم على الروحانيات الصرفة ، وليس للعمليات بالمعنى العلمى فيه اقل اثر ، بل كل ما فيه من العمليات تمرينات رياضية يعتقد اصحاب المذهب أنها مفيدة فى تزكية الروح مؤدية بها الى الخلاص من سجن البدن الكثيف .

وتتجلى هذه النزعة فى مؤلف العدل الآلهى فى برهانه الذى يقيمه على وجود الله . فانه ينزع الى برهان اهل الباطن ، وذلك البرهان الذى لا يمكن أن يقتنع به الا الشخص الذى يتجلى له هذا البرهان فى أخذة من الاخذات النفسية التى يعتقد اهل الباطن انها من البراهين التى لا تنقض . ولكنه على اية حال برهان لا يمكن أن يقتنع به احد من طريق التدليل لانه لا دليل عليه الا دعوى صاحبه . قال فى ص ٤ ، ٥ ما يلى :

« والحق أننا بحاجة الى حاسة أخرى (غير الحواس الخمس التى هى عماد العلم بالضرورة) ليست لنا الآن ولا نبلغها الا بعد ان يبلغ روحنا درجة النقاء من غواشى المادة وما علق بها من خلق وصفات مكتسبة » .

« نقول : وانما نحن نستطيع ان نستدل على صفات ضرورية فى الله جل شأنه ! — من مقدمة برهان وجود — واجب الوجود — مطلقا ، ويجب أن تكون هذه الصفات القدسية او الكمالات ! ! ! — محور الدائرة فى كل دين من الاديان »!!!!

أما النتيجة التى يصل اليها فى اثبات وجود الله فهى ما يلى :

« اندمج فى حسك وآنس الى نفسك ، بعيداً عن كل ضوضاء أو خيلاء ، فى وحدة وسكون — هنا لك وانت منسجم مستسلم — تشعر بميل غريزى يجذبك نحو الحق — وتحس بانه يحقق لك وجوده دون حاجة الى تدليل أو برهنة » .

وهذا ولا شك دليل أهل الباطن . بل يعترف المؤلف أنه ليس بدليل ولا برهان . بل تجربة دينية يقتنع بها مجربها اقتناعاً شخصياً بل تراه بعيداً عن طريقة البرهنة التى اتبعها ديكارت والادلة التى أقامها « بيق كروزبار » المعروف ، ذلك لان الاول ينهج طريق المنطق ، والثانى طريق التدليل بالسببية .

فاذا رجعت الى الابحاث النفسية الحديثة لتعرف ما هذا « الانسجام والاستسلام » من قيمة فى اقامة دليل يمكن ان يكون له أثر فى اثبات وجود الله أو شىء من الغيبيات، وقرأت الفصول القيمة الخالدة التى عقدها الاستاذ الكبير « وليم جيمس » فى كتابه Varieties of Relijious Experience فهنا لك تعرف أن قيام الحالات النفسية التى يباشرها أهل الباطن كلها حالات غير طبيعية بل هى عبارة عن أعمال جسمانية تحدث حالات نفسية يخيل لمباشريها أنها حق بل أنها الحق ، وهى لدى البحث النفسى الدقيق ليست سوى حالة نفسية ناشئة عن نظام جسمانى

اما الامثال التى ضربها (ص ٥) فى أن الكون دليل على وجود الله كقوله إن الساعة المضبوطة فى صحراء اذا عثر عليها عابر سبيل تكون عنده دليلا على وجود صانع لها حكيم مدبر ، فامثال تقود الباحث الى القول بان الله ليس أكثر من فرض ضرورى، وهذا ما قال به « كروزيار » ولا جرم ان هذا بعيد كل البعد عن ان يقبله رجل من أهل الباطن الذى يلجأ المؤلف الى برهانهم فى وجود الله .

ومما يدلك على ان المؤلف ينزع الى براهين أهل المنطق أكثر من نزوعه الى برهان أهل الباطن ، وأنه لم يقل ببرهان أهل الباطن الا استسلاماً للفكرة الاصلية التي أراد أن يبثها فى تضاعيف الكتاب ،انه عاد فى (ص ٢٢) فعقد فصلا قصيراً تحت عنوان « فكرة وجود الله » . فكأن الله فى هذا الفصل ليس أكثر من « فكرة » قد يكون لها حقيقة وقد لا يكون لها حقيقة البتة ، شأن كل فكرة من الفكرات الأنسانية قال : ـــ

« نقول : ان المقبول عقلا والمألوف المعروف انه لابد لكل معلول من علة ولكل مسبب من سبب. انما عظمة العلة وقوتها وأهميتها ـــ تكون بمقدار عظمة وقوة وأهمية المعلول ـــ ولو كانت العلة خفية غير ظاهرة ـــ فما كان عدم ظهور العلة بمانع لوجودها ولا حائل دون فعلها وأثرها » ـــ وهذا الكلام لا يكون صحيحاً إلا بعد أن يثبت المؤلف ببرهان قاطع أن العالم معلول أولا ! وهذا مالم يفعل المؤلف بل فرض أن العالم معلول لا غير ،مستنداً الى فكرة فى وجود الله التى يتمثلها العقل الانسانى من نظره من آثار الطبيعة

وكذلك كان موقف المؤلف ازاء العلة ، أو بالاحرى « علة العلل » فانه لم يحاول نفى هذا الاشكال الكبير ولم يبحث فى ماهية العلة . فاذا كان الله علة كاملة لايتخلف عنها معلولها ، وجب ان يوجد المعلول مع العلة وان يشاركها فى صفة القدم . فى حين أن من شروط المعلول ان يكون حادثا والا شارك العلة فى كل صفاتها حتما . وهنا تختلط العلة والمعلول اختلاطاً لايمكن الفصل بين أطرافه . وكذلك لم يبحث مشكلة الحدوث فان العالم اذا كان حادثاً ثبت أن علته كانت ناقصة (يتخلف عنها معلولها) ثم كملت فلما . كملت وجد العالم لزاماً لوجود علته عند تمام كمالها

ولقد رأينا الاستاذ المؤلف يشير الى اعتقاده بحقيقة الطوفان العام اعتقاداً يلزم صاحبه الاعتراف بان الطوفان قد عم كل الأرض واهلك كل المخلوقات . وهذا ما نقضته الابحاث الجيولوجية الحديثة نقضا تاماً صريحاً

وعلى جملة من القول فان الكتاب جدير بأن يقرأه كل باحث يريد أن يستوغل فى مثل هذه الابحاث الفلسفية العميقة

***

٧ — اللؤلؤ المنضود

فى دفع نقود

بقلم الشيخ أمين طاهر خير الله نشره السيد الياس روفائيل الكك أخرجته مطبعة الاجتهاد ببيروت — ١٩٢٩ — فى ٥٢ اص من القطع الاوسط على ورق جيد وطبع أنيق

صدر الكتاب بالبيتين الآتيين

ان الحقيقة بنت البحث مابرحت مناظرات رجال العلم تبديها
فالمبتاة على التحقيق تثبتها والمبتاة عــلى البطلان تنفيها

والكتاب مجموعة نقود فى النحو والاعراب لها فائدتها الجلى لكل المشتغلين بعلوم اللغة والآداب ،وليس لنا ان نعرف الكتاب باكثر من فاتحته التى قام فيها المؤلف .كتب علوم العربية ضربان : الاول ماوضع للتلقين . فيورد الحقائق التى انتهى الى تقريرها العلماء بعد جهد جهيد ، ومعظمه يأتى بالأدلة لترسيخ القواعد والتمثيل

منها.والثانى ماوضع للمناظرة فى تلك الحقائق فيأتى بالادلة متضاربة ليثبت الحق ويزهق الباطل.ففائدته اجزل ومركبه عسير ،

« وكتابى هذا من الضرب الثانى بذلت جهدى فى أن أدون به الحقائق مؤيدة بالبينات وتصفحت اثناء جمعه كثيراً من المؤلفات الفنية فعزوت كل قول الى قائله وعينت موضع وروده ليسهل على من شاء أن يتصفحه الاطلاع عليه .ولا ريب فى ان المباحث التى محصتها المناظرة يثق مطالعها بانه يأخذ أحكامها عن ذى خبرة. والله أرجون أن يكون كتابى هذا نافعاً لمطالعيه فان » :

« مناظرة العلماء مغاص فمن غاص فيه يحوز اللآل »

« براهينها الراهنات كفلن ببنيان حق وقعض محال »



بين الصحف والمجلات

قفلنا هذا الباب لان بعض اخواننا الصحفيين صرف غرضنا منه الى غير ماتوخيناه ولاننا كنا قد قصرناه على النقد وحده . واليوم نعود اليه لنجعله ميداناً نختار فيه من الصحف والمجلات مايروق،وننقد مالا توافق عليه، لتكون بذلك اقرب للنصفة، وانفع لقرائنا .

١ — مجلة المنار — فاتحة المجلد الثلاثين . مقـالة مطولة فى ١٦ صفحة من القطع الكبير بقلم منشىء المنار السيد محمد رشيد رضا صاحب التفسير السلفى الاثرى المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى السياسى . نفعنا الله بعلمه وارشاده : آمين .

المقال غير ممهور بامضاء ولكنه استنتاجاً من قلم الاستاذ المسلم الكبير ، أحد اعضاء مؤتمر الخلافة . بل والاصبع الضاغط على أحد أزرار المؤتمر فى مصر ، لترن رناته فى جنبات مكة المكرمة .السيد محمد رشيد رضا ، صاحب المنار وتلميذ الاستاذ الامام ، عليهما من الله السلام . فالمقال فى مفتتح المنار وتصدير للسنة الثلاثين من سنى المجلة التى انفقتها فى جهادها المبرور فى مؤتمر الخلافة وامثال مؤتمر الخلافة وفى تجهيز كشوف النفقات التى بعثرت فى مؤتمر الخلافة . رحمه الله ورحم زماناً أغاثتنا فيه اليد المعروفة ،اليد العليا صاحبة الحول والطول ، وثابت القول ، من مؤتمر الخلافة، وقصاع مؤتمر الخلافة ، وشيوخ مؤتمر الخلافة . فعلى مؤتمر الخلافة الرحمة الواسعة، وللسيد محمد رشيد بن رضا السلفى الاثرى المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى السياسى ، الصبر والسلوان .

ليت شعرى من للاسلام بعد أن انحلت روابطه ، وتصدعت قوائمه ، وعملت فيه يد الاتراك بالهدم ، وسامه الملحدون الخسف والهضم ، وضربت فيه معاول التخريب يحملها الزنادقة ، والتمست اسسه أيدى الملاحدة ، من للاسلام ، وقد تآمر عليه المستشرقون والشرقيون ،وتآزر عليه الساسة والكاتبون ، من

للاسلام بمسك يده ، يقيم عثرته ، وينفض من التراب لمته ، الا السيد السلفي الأثري المدني العصري الارشادي الاجتماعي السياسي محمد رشيد بن رضا ، وسيده عبد العزيز آل سعود ملك نجد والحجاز وملحقاتهما ، وملحقات ملحقاتهما ، وملحقات ملحقات ملحقاتهما ، الى ماشاء الله من الصحاري القاحلة ، والبوادي الماحلة ، والاركان الخراب ، التي لا ينعق فيها بوم ولا غراب ، عليهما من الله السلام ، والتجلة والتحية والاكرام

ولقد حفز السيد الى كتابة هذا المقال القائض الجوانب المملوء بحرارة الايمان ما رأى من ماحل الرأي تنشره مجلات الملاحدة ، وتذيعه صحف الزنادقة ، وقد اختار من هذه المجلات وأصحابها ، صاحب مجلة ومطبعة في مصر معروف ، وفي حلب مجلة حديثة مثلها يظهر ان صاحبها مقلد ينقل اقوال اشهر الكتاب من ملاحدة مصر ، وقصائد تشيع ملاحدة العراق وامثالهم ويثني عليهم ويتوه بآرائهم ولكنه لا يتجرأ على التصريح بكل مايصرحون به بامضائه . ومنهم احد محرري الجرائد اليومية المأجورين الذي كتب مقالات في تقبيح النص في الدستور المصري على جعل الدين الرسمي للحكومة المصرية الاسلام ، وطلب أن تكون حكومة معطلة (لادينية) ومقالات في سن قانون مدني للاحوال الشخصية ، لا يتقيد فيه بشيء من الاحكام الشرعية الاسلامية ، وقد كان من اركان محرري السياسة ويقال إن له صلة وعلاقة ببعض جمعيات اليهود . وأفراد هذه الطبقة لا يدعون التدين ولا يتمعضون لوصفهم بالتعطيل بل منهم من يفتخر بذلك » ـ وهؤلاء عند الاستاذ هم الطبقة الاولى من الملاحدة ، وقد وصفهم بقوله ـ « إنهم الذين سممتهم التربية الافرنجية ، وافسدتهم الآراء المادية ، وختنهم الاسراف في الشهوات البدنية » ـ وقد نسي الاستاذ ـ بيض الله وجهه وأعلى كعبه ـ أن يضم اليهم أنصارهم وأنصار أنصارهم ، وتلطف فلم ينزل عليهم اللعنة الابدية ، ولم يفصلهم عن حظيرة الاسلام ولم يطردهم من الجنة ، وهذا اقصى مايصل اليه رجل ثقفته علوم الشرع وتزهه الايمان ، عن أن يحتل مركز الديان ، فللاستاذ من هؤلاء جميعاً الشكر والمنة ، نقلها اليه عنهم تطوعا . ومن رائق آداب الاستاذ انه لم ينعتهم بسوى انهم المسممون المختنون . والله إن هذا لمنتهى الكرم ، وأسمى منازل الادب

والفضيلة. كيف لا والاستاذ من ورثة النبي العربي الامي القائل - «إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق» -؟

وما أحلى قول الاستاذ وأسمى أدبه اذ يقول:

«ومما ثبت عندنا بالخبر المستفيض، والخبر الطويل العريض، أن من أفراد اولئك الملاحدة دعاة للكفر، وسعاة للصد عن الاسلام، وأن منهم من يأخذ على ذلك جعلا من جمعيات التبشير النصرانية ومنهم من يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ أجره منها، وأعظم هذه الاجور المناصب والوظائف في البلاد المسيطرة عليها، ومنهم من لذته في ذلك التشبه ببعض فلاسفة الافرنج وكتابهم الاحرار والحظوة عندهم، والثناء عليهم في كتبهم وصحفهم وهم لا يثنون إلا من كانوا عونا لهم على أقوامهم» (حفظ الله أستاذنا السيد رشيد رضا من مدحهم وحوطه بعنايته).

بل نعوذ الاستاذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر حاسد اذا حسد.

وقد تحفظ الاستاذ في هذا الكلام كل تحفظ فلم يذكر اسما ولا اشار الى شخص فهو انما يناهز فكرة ويجالد مبدأ، دفاعا عن الاسلام وعن حظيرة المسلمين، حذر ان يجابهه احد هؤلاء الملاحدة وجلهم (مكشوف الوجه) بعلاقته بابن السعود الذى هدم القبور وبعثرها واغتصب الارث القديم من اولاد النبي، وتربع على عرش الرمال يقطع مفاوزها على الصادر والوارد، والذاهب والعائد، ويجبي جباية ملكه من الحادى والبادى، والرائح والغادى. خشي الاستاذ الحكيم أن يتخذ احد هؤلاء المكرة الخبثاء هذه العلاقة التي ظهر فيها الاستاذ بمظهر العبد الرقيق للسيد المطاع، خدمة منه للاسلام والمسلمين وتطوعا للدفاع عن الدين الحنيف، وهو يعتقد من صميم قلبه ان ابن سعود غير جدير منه بهذا الخضوع، ذريعة لأن يلوكوا بالسنتهم ما تذيعه العامة الجهلاء عن أكياس الذهب وقناطير الفضة التى يدرها ابن سعود على المنار وصاحب المنار اجر دفاعه عنه وعن الاسلام. تعالى الاستاذ عن ذلك علواً كبيراً. وهذا لعمرى دليل واضح على أن الاستاذ قد جمع الى حكمة الدين، لباقة السياسة التى يتطلبها العيش فى الدنيا. ابقاه الله واسعده أبد الآبدين، ودهر الداهرين، الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

قال الاستاذ لافض فوه :

« وقد أخبرنا من خبر حالهم ، وعاشر رجالهم ، بطرق الدعوة التي يفتنون بها الشبان عن دينهم ، ولا سيما الاذكياء الفصحاء منهم ، وسنبينها في مقال آخر . ومما بلغنا من امرهم انه لم يكن لهم نظام للدعاية الى عهد غير بعيد ثم وضعوه » — مرحى . مرحى — « ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون » .

قال الاستاذ بلغه الله مناه ، وجعل الجنة مثواه :

« ولما ألفت في مصر جمعية الشبان المسلمين ، عارضوها بتأليف (جمعية الشبان المصريين) لاجل القضاء عليها بدعاية الوطنية ، قبل ان تشب عن الطوق ، وتشب نارها ، فلا يكون لهم بها طوق ، ولكنهم لم يقاوموا جمعية الشبان المسيحيين بقول ولا عمل ، بل وجد فيها من يكبر شأنها ، ويلقي المحاضرات في ناديها » .

نقول — والعلم عند الله والاستاذ — إن الذى كون جمعية الشبان المسلمين اعضاء من الحزب الوطنى حزب الاسلام والمسلمين ، فاراد ان يعارضهم اعضاء من الوفد سياسياً (بجمعية الشبان المصريين) ولقد كشف لنا الاستاذ عن سر من الاسرار الخفية التى احتجبت وراء هذه الدعوة ، فاظهر لنا الوفد فى ثوبه الصحيح ، وعلى رأسه الاستاذ النحاس المصلى الصائم الراكع الساجد القانت القائم الليل واطراف النهار . فللاستاذ من الامة الشكر على كل حال .

وبعد ان مضى الاستاذ فى مقارنة طويلة عريضة بين تجديد المجددين فى أوروبا وتجديد الملحدين فى مصر والشرق ، اثبت هذه الالفاظ الذهبية التى هى جديرة بان يحفظها عن ظهر قلب كل متعلم لتكون له فى ادب المناقشة مقياساً ، وللاستزادة من علم الاستاذ نبراساً .

« واما ملاحدة بلادنا ودعاة الكفر والاباحة فيها ، فالتجديد الذى يدعون اليه هو هدم كل ما يربط الأمة ويشد ازرها ، ويجمع كلمتها ، ويهذب اخلاقها من روابط الدين ، والمحافظة على العرض ، ويسمون الكفر والفجور واباحة الاعراض تجديداً طريفاً ، ومدنية وتقدماً وترقيا ، ويسمون ما يقابل ذلك من التقوى والعفة والصيانة قديماً بالياً ، وقد استشرى عبثهم وفسادهم وعظم خطرهم بكثرة الجرائد والمجلات التى

ينفثون فيها سمومهم ، على صغر شأنهم ، وسوء سيرتهم الشاف عن خبث سريرتهم ، فانه لا مزية لاحد منهم فى علم نافع ، ولا عمل صالح ، وانما هى خلابة الالفاظ التى وافقوا فيها اهواء كبار الفساق وصغار الاحداث ، وأن اهل الرأى والبصيرة عندنا يجزمون بان زعزعة العقائد وفساد الاعراض و إباحة النساء يناط بفساد اكثر الجرائد والمجلات . . . . وهكذا والله تكون اخلاق المتأدبين بأدب القرآن الكريم ، لا كل « هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد اثيم ، عتل بعد ذلك زنيم » من ملاحدة هذا العصر .

غير ان الاستاذ — نفعنا الله بعلمه وأدبه — قد نسى أن من أولئك الملاحدة فئة تتعمم وتلبس الجبة والقفطان ، وتتمنطق باحزمة الخز والديباج ، وتبالغ فى تكبير العمامة حتى يصير عندحد قول حافظ — كالبرج لكن فوق تل نفاق — مبالغة فى الاثم والعدوان واخفاء لأمرها ان يعرف ، وسرها ان يكشف ، فتحارب الدين باسم الدين ، وتقاوم الاسلام باسم الاسلام ، سراً لا علناً ، واستخفاء لا جهراً ، وهؤلاء والله يا سيدى الاستاذ لاكثر شراً ، وآلام نفساً ، وأشد فساداً ، وأعظم إثماً ، عليهم وعلى الملاحدة المجددين اللعنة الأبدية .

واظن ان الاستاذ لايزال يذكر منهم شيخاً ، معمماً ربعة القوام ابيض الوجه عريض المنكبين يمشى الهوينا — كما يمشى الوجى الوجل — لا خشية من الله ، ولكن خيلاء واسرافاً ، وكان يجلس الى طاولة معروفة وفى مكان معروف بقهوة سبلندد بار ، وهى لا تزال قائمة الى اليوم ، ومحله منها لايزال مسوداً بالخزى اعاذنا واعاذه الله ، فاذا ما استوى فى مجلسه اجتمع من حوله جماعة من المرد الوسماء ، حتى اذا انتصف الليل قام ومعه منهم جمع ، لا للمسجد ولا للمحراب ، ولكن للذة ، يباشرها أو تباشره .

افلا تعتقد ياسيدى الاستاذ أن هذا الشيخ وأمثاله شر على الاسلام والمسلمين ، من ملاحدة المجددين ؟

وانى لارجو أن يوفقك الله فى خطواتك السديدة ، وان يزيدك من فضله ، أن الفضل لله يهبه من يشاء ، وهو العزيز الحميد .

٢ ـ مجلة المقتطف عدد يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال تحت عنوان « الله والعالم » وهى خطبة مطولة للدكتور صروف رحمه الله

« الذين ذهبوا إلى معرض باريس رأوا هنالك آلات مختلفة الأشكال والصفات، رأوا آلة تطحن القمح وتعجنه وتخبزه ، وأخرى تبل التبغ وتفرمه وتنسقه ، وأخرى تطبع الورق وتطويه وتخيطه إلى غير ذلك ، فذهلوا عن أنفسهم وقالوا ما أحكم الانسان وما أعجب ما وصل اليه . ولو حاولت اقناعهم بأن هذه الآلات وجدت من نفسها أى ان رقائق الحديد ورقائق الخشب تجمعت وتركبت فصار بعضها عوارض وبعضها مخارز وبعضها دواليب وبعضها أساطين إلى غير ذلك من الأجزاء المختلفة الأقدار والهيئات ، ثم تركبت على أوضاع خاصة فتألفت منها تلك الآلات العجيبة، ثم أن هذه الآلات جذبت إليها الفحم من طبقات الأرض ، وأضرمت فيه النار وملأت جوفها من مياه الينابيع فسخن الماء بحرارة النار فصار بخاراً ورفع الأساطين التى فوقه فارتفعت وأدارت الدواليب الكثيرة وحركت الأدوات المختلفة فتسبب عنها طحن القمح وعجن الطحين وخبز العجين وطبع الورق وبل التبغ الخ وقد جرى كل ذلك ولم تدخل فيه يد الانسان — لو صرحت لهم بهذه النتيجة — لعدوك مجنوناً أو هاذراً . بل من تراه يسلم بذلك وأى عقل يعتقد به ، سخيفاً كان أو ثقيفاً . أيمكن أن توجد هذه الآلات من نفسها ؟ أيمكن أن تختار هذه الأوضاع بلا صانع قادر على صنعها ؟ كذلك العقل والنقل لا يسلمان بذلك . العقل والنقل يرفضانه ، وانى لأرى التصديق بأن واحداً وواحداً سبعة ، أيسر من أن المطبعة وجدت من تلقاء الطبيعة ، والتصديق بأن واحداً وواحداً سبعون أقرب من التصديق بأن الآلة البخارية التى تسير السفن الكبيرة وتقضى بأكثر مصالح الانسان وجدت من نفسها »

« لكن ما هذه الآلات بالنسبة إلى أصغر الحيوانات التى لصغرها لاتراها العين والتى لو جمع ألف حيوان منها معاً ما بلغ جرمها كلها جرم الخردلة الصغيرة ؟ ما هذه الآلات بالنسبة إلى العفن الذى تراه منثوراً كالرماد الأخضر ؟ وإذا نظرنا اليه بالميكرسكوب رأيناه غابات من الأشجار وكلها تحيا وتنمو على صورة تحيرت عقول البشر عن إدراك كنهها ؟ من يتجاسر فيقول إن هذه الحيوانات وهذه النباتات وجدت هكذا

ن نش. الطبيعة ؟ ولكن ماهنا بالنسبة إلى الحيوانات الكبيرة ذات الأيدى والأرجل والعيون والآذان ؟ أين آلات البشر من جسد الانسان ؟ من عينيه ذات الطبقات العديدة والتراكيب العجيبة ، فلو جمعت كل آلات البشر شرقاً وغرباً ما ساوت كلها عيناً واحدة فى الاتقان والغرابة . ولو اجتمع كل علماء الأرض وصناعها وأرادوا أن يصنعوا عيناً باصرة كعين البعوضة ، وصرفوا عمرهم كله فى هذا العمل إلى ان حانت منيتهم لجثتهم فى آخر حياتهم ، وقد رموا آلاتهم فى النار وقالوا كلهم عجزنا عجزنا ؟»

وقد ذكرتنى هذه القطعة بأخرى اثبتها العلامة داروين فى الفصل السادس من كتابه أصل الأنواع آثرت نقلها هنا اتماماً للفائدة ودليلا تدحض مزاعم الذين يقولون ان النشوء لزام الالحاد (١)

وليس من الهين فى هذا المقام أن تتنكب مقارنة نضعها بين العين والمنظار المقرب للاشباح – تلسكوب – فانا نعلم أن هذه الآلة لم تصل إلى ما هى عليه من الكمال إلا بعد أن أفنى كثير من نحاريرهم صفوة العقول البشرية جهودهم فى سبيل تحسينه . ونحن بالطبع مسوقون إلى القول بأن العين قد تكونت بطريقة مشابهة لتلك الطريقة . ولكن ألا يكون ذلك القول محض اعتبار تصورى ؟ وهل لنا أن نخطر بقولنا خطرة من الظن بأن الخالق العظيم يدبر الكائنات بقوة عقلية مشابهة لقوة الانسان ؟ أما إذا لم يكن بد مما ليس منه بد ، ومضينا فى مقارنة العين بآلة مبصرة ، أتبغى لنا أن نكون بقوة الوهم صورة طبقات متراكة من أنسجة مشفة ، بين بعضها وبعض مادة سائلة ؛ ومن وراء ذلك جهاز عصبي كاشف للضوء حساس له ، ثم نفرض من بعد هذا كله أن كل جزء من أجزاء هذه الطبقات ماض فى سبيل التغاير من حيث ثقله النوعى وكثافته ، مستمر فيه ببطء عظيم ، متجهة تلك الأجزاء نحو التمايز بالانفصال بعضها عن بعض إلى طبقات مستقلة يختلف ثقلها النوعى كما تختلف كثافتها ، ثم تأخذ أوضاعاً فى أبعاد متناسبة ! فى حين أن سطح هذه الطبقات يكون ممعناً فى سبيل التغاير من حيث الصورة والشكل . ثم نقول إن من وراء ذلك كله ، قوة ، نمثلها لأنفسنا باصطلاحات نضعها كالانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح ، ملاحظة بعين المجاز كل تحسين أو تهذيب

(١) راجع ص ١٥٥ من الجزء الثانى من أصل الأنواع (الطبعة العربية)

وصفي يطرأ على تلك الطبقات المشفة ، ماضية ، حين تأثر هذه الطبقات بمختلف الظروف التي تحوط بها ، في الاحتفاظ بكل شكل من أشكال التغاير ، أيا كانت وسيلته ، ومهما كانت درجته ، متى كان من شأنه الكشف عن الأشباح بصورة أكثر دقة . ومن ثم نفرض أن كل حالة تمشي فيها تلك الآلة نحو الكمال قد تكرر مليوناً من المرات تبقى في كل مرة منها محتفظة بكيانها زماناً ثم تزول ، بعد أن يجد في التراكيب العضوية غيرها أقرب إلى الكمال رحمة . فإن التغاير في الأجسام الحية ينتج ارتقاءاً ضئيلا يتضاعف أثره جيلا بعد جيل إلى ما لا نهاية له ، في حين أن الانتخاب الطبيعي يكون إذ ذاك مجداً دائباً على الاحتفاظ بكل تهذيب يحدث بعين لا تأخذها سنة ولا نوم لا يعرفها الكلال . دع تلك القوة تؤثر في همودها وسكونها تأثيرها الدائم مليوناً من السنين ، متخذة في كل سنة ملايين من أفراد العضويات المختلفة موضعاً تبرز فيه نتائجها ، أفلا نعتقد بعد هذا أن آلة مبصرة حية من المستطاع أن تكون قد استحدثت على مر العصور بحيث تكون نسبة الفراق بينها وبين العدسة الزجاجية ، كنسبة الفرق بين تدبير القوة الخالقة المطلقة ، وبين الصناعات البشرية ؟

***

٣ — عن المقتطف شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال بقلم الدكتور أبو شادي تحت عنوان في سبيل العربية — ما بين الجمود والأصلاح .

« لعل من خير الانسانية أن تكون لها لغة واحدة ، ولعل اللغة العالمية التي سوف تكون لها الغلبة هي الأنجليزية — لسان العالم الجديد : مقر أسمى حضارة عرفها البشر ، ولسان الأمبراطورية الأنجليزية ، ولسان التجارة الدولية ، ولسان الثقافة والتعامل في شعوب ناهضة : كثيرة كاليابان والصين والهند . بيد أنه من خيال الخيال أن نتصور إمكان القضاء البات على اللغات القومية مادامت هذه اللغات وليدة معارف وحضارات وعقائد مبجلة . وغاية ما يسوغ لنا العقل تصوره إمكان ذيوع لغة ظاهرة ذيوعاً كلياً لتكون اللسان الأول للحضارة العالمية ، فيصبح تعلمها فرضاً على جميع الشعوب المتحضرة ، دون أن يتعارض ذلك وواجبات تلك الشعوب نحو لغاتها الخاصة بها .

وقد ذكرت آنفاً أن اللغة الانجليزية مرشحة قبل سواها (ولا أستثنى الفرنسوية) لتبوء هذه المكانة ، وربما نالتها قبل شروق القرن التالى . وقد اصبحت الانجليزية بما تستوعبه من شتى العلوم والفنون والآداب كنزاً وفيراً لا نفس معارف الأمم ، وصار البحر فيها مغنياً فى معظم الأحوال عن الألسنة الأوروبية الأخرى . ولكنه برغم ذلك لم يعرف قديماً ولا حديثاً عن أمة من الأمم التابعة للتاج البريطانى انها استغنت بهذه اللغة السهلة المرنة الزاخرة بالعلوم والفنون والآداب ، عن لسانها القومى الرؤوم . ذلك لأنها تحس أنه وحده مستودع أسرارها وأحلامها وآلامها » .

« هذا مثل نسوقه لنسوغ به تعلقنا (لا من جانب العاطفة وحدها ، بل من جانب المنطق أيضاً) بلساننا القومى ، دون أن تكون فى هذا التعلق مسكة من التعصب المشين ولا أية مضادة لنزعتنا العالمية . وما من شك فى أن اللغة العربية — وريثة الكثير من المدنيات القديمة — قد برهنت على استطاعتها أن تتكيف فى أقطار شتى فلهجاتها وتعابيرها ذلك التكيف العجيب الذى يجعل حتى من صورتها الفصحى السنة ومية متعددة لا فارق بينها إلا فى ما يسبغه عليها الذوق المحلى من ألوان التعبير وما يكسبها من جرس خاص ترتاح اليه كل أمة تتخذها لسانها القومى » .

* * *

٤ـ مجلة الهلال عدد شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال تحت عنوان التمنمية أو أكل لحوم البشر (كانيبالزم) بقلم محمود سامى .

الايحاء قوة نفسية عجيبة تعرف بمظاهرها ويتعذر تعليل أسبابها . فالذى يعيش فى أرض تكثر فيها الأفاعى ويعتاد قتل الكثير منها يصبح قتل الأفاعى فى نفسه أمرا يدفعه اليه الايحاء . والجندى الذى يشترك فى حرب تطول مداها يكون أرغب فى القتل من غيره . ومن يفكر فى ارتكاب جريمة . لا يرتكبها بمجرد التفكير فيها ، بل ينفذها عندما يبلغ به التفكير فيها درجة الايحاء . وقد يرتكبها ببساطة طبيعية ولو كانت أشنع الجرائم .

وكاتب هذا المقال يعلل التمنمية كما دعاها — بانها شىء تدفع اليه الضرورة وما ضرورة ذلك الا الجوع . يقول :

« قد تدفع الظروف بالمرء إلى حيث يتعذر عليه وجود الطعام فيدفع الجوع إلى أن يقتات بأول شيء يصادفه . والجوع لا يعرف الرحمة ونداء المعدة تختفي معه العواطف وتفر منه حتى انسانية بني آدم » — وعلى هذه الوتيرة يسير في تعليل أكل لحوم البشر والاعتياد عليه . في حين أن الأرجح ان لا سبب لهذه الظاهرة إلا الايحاء الذي تخلقه العادة أولاً ثم يصير من بعد ذلك شيئاً ضرورياً من مقومات الحياة ، فيلوح لمن لم يرجع إلى أصله كأنه شيء طبيعي تدفع اليه دوافع طبيعية

* * *

٥ — مجلة المشرق التي تصدرها ادارة آباء كلية القديس يوسف عدد يوليه — ١٩٢٩ — من مقال بعنوان « قس بن ساعدة » — ماذا نعرف عنه — بقلم ميشيل سليم كميد

من خطب قس بن ساعدة

« أيها الناس : اسمعوا وعوا ، واذا وعيتم فانتفعوا . أنه من عاش مات ، ومن مات فات . وكل ما هو آت آت . مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، وجمع وشتات ، وآيات بعد آيات . الا إن أبلغ العظات السير في الفلوات ، والنظر إلى محل الأموات . إن في السماء لخبراً ، وأن في الأرض لعبراً » .

ولا شك عندي مطلقاً في أن قوله « ألا أن أبلغ العظات السير في الفلوات والنظر إلى محل الأموات » — مدسوسة على قس ، فانها من أول الخطبة « كالبقعة الخراب في مصور الجغرافية » كما يقول الاستاذ صادق الرافعي . وإني لأذكر مكان هذه القطعة قطعة أخرى حفظناها ونحن في المدرسة هي أكثر اتساقاً ولب الخطبة من هذا الكلام البور وفيها يقول « يا معشر إياد ، أين الآباء والأجداد ، وأين الفراعنة الشداد . أين من بنى وشيد ، وانشر وجدد . أكلهم الدهر بكلكله ، ومزقهم بتطاوله . فتلك أجسامهم بالية ، وبيوتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية .

ويزيد بعض النساخ على هذه الخطبة قوله

« أقسم قس قسماً : لا حانثاً فيه ولا آثماً ، ان لله ديناً هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد آن أوانه ، وأظلكم إبانه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه » .

ومنزلة هذه القطعة من الانتحال أرجح عندى من منزلة الأولى

ثم أنشأ يقول :

فى الذاهبـين الأوليـ	ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردآ	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحـوها	يمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجـع الماضى ولا	يبقى من الباقين غابر
ايقنت انى لا محا	لة حيث صار القوم صائر

ومن خطب قس النفيسة :

« أيها الناس ! شارفوا بابصاركم فى كر الجديدين ثم ارجعوها كليلة عند بلوغ الأمل. فان الماضى عظة للباق (١) ولا تجعلوا الغرور سبيل الفخر فتنقطع حجتكم فى موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم على ما أسلفتم. أيها الناس ! أمس شاهد فاحذروه واليوم مؤدب فاعرفوه، وغدآ رسول فاكرموه. وكونوا على حذر، من هجوم القدر، فان اعمالكم تطلق أبدانكم والصراط ميدان يكثر فيه العثار فالسالم ناج والعاثر فى النار »

ولم يعرف أن قسآ وصف مابعد الموت ولكن أمية بن أبى الصلت معاصر قس ومن زمان اياد المعدودين له ما يأتى

فكل معمر لا بد يومآ	وذى دنيا ، يصير الى الزوال
ويفنى بعد جدته ويبلى	سوى الباقى المقدس ذى الجلال
وسيق المجرمون وهم عراة	الى ذات المقامع والنكال
فنادوا : ويلنا ويلا عظيما	وعجوا فى سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا	وكلهم بحـر النار صال
وحل المتقون بدار صدق	وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا	من الأفراح فيها والكمال

وعندى أن البيت الأخير فى غاية الضعف لايتسق وبقية القصيدة مطلقاً . وقس أول من افتتح الخطابة بكلمة « أما بعد » . ومن مأثور قوله :

---

(١) من أحكم ماقيل وأبلغ ماسمع

« من فاته حسب نفسه ، لم ينفعه حسب » .

« البينة على المدعى ، واليمين على ما أنكر » .

ومن خطبه الذائعة قوله :

« أيها الأشهاد ! أين ثمود وعاد ، أين الأباء والأجداد . اين ذهب أبرة ذو المنار ، وعمرو ذو الأذعار ؟ هل تدرون ماصار اليه عبادة الفتاح ، وأذينة الصباح ، وجذيمة الوضاح ؟ غزوا فقهروا ، ونهوا وأمروا . وجددوا المصانع والآثار ، وجدولوا الأنهار وغرسوا الأشجار ، . واستخدموا الليل والنهار . فهجمت الآجال . دون الآمال . ألا وأن كل شيء إلى الزوال » .

ثم أنشأ يقول :

قد كنت أسمع بالزمان ولا أرى ... ان الزمان يطيق نتف جناحى
فأراه أسرع فى حتى أصبحت ... بيضاً متون عوارضى وصفاحى
وأنا الكبير لنسبة فى قومه ... هيهات ! كم ناسمت من أرواح
صالحت ذا جدن وأدرك مولدى ... عمر بن عمرو ، يتقي بالراح
والقيل ذو يزن رأيت محله ... بالقصر بين جنادل وصفاح
فتك الزمان بملك حمير فتكة ... تسمى بكل عشية وصباح
أودى أبو كرب ، وعمرو قبله ... وأباد ملك أذينة الصباح (١)

...

وغدا بابرهة المنار فأصبحت ... أيامه ، مسلوبة الأصباح

...

لا تمس فى شك المنون ، أما ترى ... أيامه مشهورة الأيضاح
لا تأمنن مكر الزمان ، فإنه ... أردى الزمان بشمر الوضاح
برك الزمان على ابن هانئك عرشه ... وعلى أذينة ، سالب الأنواح
أفبعد أملاك مضوا من حمير ... يرجي الفلاح ، ولات حين فلاح

---

(١) فى الأصل الذى نشرته المشرق يقول « أذينة الوضاح » ، وهو خطأ واضح حتي من سياق الخطبة ذاتها .

من ذا تصافق كفه كف الردى بشرى التقى ، عزيمة الأرواح

* * *

يقول كاتب هذا المقال

ومما يلصق بقس ، بعض كلمات حكيمة زعموا أنه قالها لقيصر حين وفد عليه مرة فقال له قيصر :

ما أفضل العلم ؟

ــ معرفة الرجل نفسه .

ما أفضل العقل ؟

ــ وقوف المرء عند علمه .

ما أفضل الأدب ؟

ــ استبقاء الرجل ماء وجهه

ما أفضل المروءة ؟

ــ قلة رغبة المرء في اخلاف وعده .

ما أفضل المال ؟

ــ ما قضى به الحق . . . . . .

يقول الكاتب ــ إنها كلمات على جانب عظيم من الحكمة والعقل. كلمات حوت أثمن النصائح ، لا نظن أن قساً قائلها ، ولا شك أن العرب انتهوه (١) بها لما أطلعوا على آداب الاغريق ، فأراد الزعم بوجود حكيم عندهم يماثل ديوجينيس في اجابة الرد الحكيم ، ولم يجدوا مرتعاً أخصب من قس ، فألوا هذه وكفنوه بها ،(٢)

ولست أدري أي دليل يستند اليه الكاتب في منحبه هذا . ولا نظن أن العرب في جاهليتهم يعجزون عن مثل هذه الأجوبة ، وكان منهم مثال قس ، اسقف نجران ، وزهير بن أبي سلمى وسحبان وائل والمهلهل والمقنع الكندي وامرىء القيس وأعشى ميمون والحارث بن حلزة اليشكري وطرفة العبد وغيرهم . فلماذا تكون هذه الأقوال الحكيمة لليونان ولا تكون للعرب . ؟

(١) أسخف التعبيرات وأبعدها عن المقصود (٢) ياحفيظ يامغيث !

بين الأدباء

ونشر في هذا الباب الرسائل التي دارت بين كبار الأدباء والطرف التي تقال في مجالسهم، تكميلا للناحية الناقصة، وسداً للفراغ الناشيء عن إهمال هذه النواحي التي يعتمد عليها المؤرخون في تسجيل تاريخ العصر الحديث. ومن مميزات هذه الرسائل أنها كتبت عفو الخاطر، فلم يتعمل كاتبوها ولم يتكلفوا تزويقها وتنميق عباراتها لأنهم لم يكتبوها للجمهرة من الناس بل لأصدقائهم خاصة. وسيتعرف القراء من هذه الرسائل نواحي كثيرة كانت جد خافية عليهم. فلعل أكثر القراء يجهلون مثلا أن للأستاذ العالم الجليل فريد وجدي بك شعرا، والعصور ترحب بكل ما يردها من حضرات الأدباء من هذه الطرف.

***

إلى الأستاذ العلامة فريد بك وجدي

ألا من لنار بين جنبي توقد — إذا ما خبت أذكى لظاها محمد
وقلب أبى إلا مقاماً على الأسى — تصدعه ذكرى خليط تبدد
فيا قلب حتام الهوى لك شاغل — ويا جفن حتام المنام مشرد
أنهنه زفراتي وأحبس عبرتي — فلا زفرتي تخبو ولا الدمع يجمد
أرى كل حسن في الورى مذكرا بكم — فؤادي، فشوقي نحوكم ليس ينفد
يذكرني طيب الرياض وحسنها — شمائل ينسى الروض فيها ويزهد
ويذكرني ضوء الصباح إذا بدا — يجلي ظلام الليل والليل أربد
براهين تجلو الشك وهو مطنب — ويعلو بها صرح الهدى ويؤيد
فلا زلت ذخراً للبلاد فإنما — بأمثالكم ترقى البلاد وتسعد

أحمد الزين

إلى الأستاذ الشاعر المجيد أحمد الزين

وفت يتقاضاها ولاء وموعد ... ووفيت مجد وفى غرام مجدد

فايه أيازين القريض ومجدده ... وأنت لما أرجو بايه لأرشد

أقمت صروح الشعر بعد أنهيارها ... فقر بك الطائى واعتز أحمد

وما زلت حتى جددت قديمه ... بجدك ، وازدان الطريف المولد

أراك كتابى عنك شغل تزاحمت ... كتائبه ترمى إلى وتصمد

وانى أدرى بالذى يستبيحنى ... وماهو إلا العلم لا اللهو والدد (١)

فدونك من قلب حواك تحية ... يكررها نفح الصبا ويجدد

محمد فريد وجدى

إلى الأستاذ عبد الله عبد العزيز (٢)

أخى :

الآن وأنا أكتب اليك — أذكر جملتك التي قلتها لى حين تحرك القطار ، وأنت مسافر إلى فرنسا — :

« هنا ياسيد مفترق الطرق » .

نعم ، كان مفترق الطرق ، ياعبد الله ، فهل يتيح لنا الزمن أن نذهب إلى فرنسا — كما ذهبت — ونتمتع بأحاديثك المعجبة فى تلك البلاد المشرقة بالحياة .

لقد طالما دارت بنفسى هذه الأمنية منذ زمن الطفولة ، حتى قلت — وأنا فى العاشرة من عمرى — متمثلا أنى قد طفت أرجاء البلاد — :

وطفت بلاد الله شرقا ومغربا ... كأن زمام الدهر طوع بنانى

ومتعت بالأسفار نفسا مشوقة ... لرؤيتها قبل انقضاء زمانى

ولعل هذا أول شعر قلته فى حياتى .

وبعد فمتى نراك ياأخى !

---

(١) الفرح والسرور

(٢) من رسالة كتبها الأستاذ سيد ابراهيم إلى الدكتور عبد الله عبد العزيز حين كان فى مونبلييه

أخى قد مرت الساعا ت والأيام تتلوها
ولم تنعم بلقياك ولا بالكتب توليها
فهل أشجتك مصر اليو م أم هل أنت ناسيها ؟
وهل تذكر أياما نعمنا مدة فيها
فطوراً فى شوارعها وطوراً فى حواريها
وطوراً فى حدائقها وطوراً فى ضواحيها
وطوراً فى معاهدها وطوراً فى ملاهيها
أتنسى هذه الأيا م ، أم أشجاك ماضيها ؟

***

أخى إن البقاء النز ر فى الدنيا لأهليها
وما نتعم باللذا ت ، بل نشقى بما فيها
فهل يدخر الخير لغير الناس باريها
تساوى الحلو والمر وباديها وخافيها

***

متى تجمعنا الدنيا متى تصفو لياليها
إذن أغفر للدهر ذنوبا لست أحصيها

« سيد ابراهيم »

الى الاستاذ الهراوى (١)

أبت زفرة المشتاق إلا تصعدا وإن كنت لا تزداد إلا تجلداً
أأذود جفونى أن ترى النوم بعدكم فما بالكم بعدى تطيبون مرقداً
وتسكب عيناى الدموع لبينكم فما لما بكم على البين جحدا
تذكر زماناً قد تولى بغبطة وعيشا لنا ما كان أحلى وأرغدا
لعلك يوم البين أجريت عبرة على بعد من لو بنت كان لك الفدا

(١) من كتاب بعث به الأستاذ أحمد الزين إلى الأستاذ محمد الهراوى.

أعاتب من لو كان يشهد لوعتي   عليه لأمسى النوم عنه مشردا
يرق لى الأصباح أن يرعبرتي   فيبكي كما أبكي بدمع من الندى
وما عيش من لا يطرق النوم جفنه   فيصبح محزوناً ويمسي مسهدا
يود لو أن الليل أبطأ نجمه   فليس يرى غير الكواكب مسعدا
فوالهفا إذ يطلع الصبح مسفرا   ولست أرى فيمن أراه محمدا
أرى الماء يصفو كي يذكرني أخا   شمائله أصفى من الماء موردا
وتبسم لى الأزهار تحسب أنني   أراها فأنسى بشره والتوددا
لعل زماناً منك يوماً يعود لي   فتهدأ أشجاني وأشفي بك الصدى

أحمد الزين

من الدكتور أبي شادي

الى الاستاذ كامل افندي كيلاني

يا صديقي العزيز « كامل » حبيـ   ـت بقلب وهبته صفوَ قلبك
ليس أمحى من المحبـة إهدا   ءٌ فهل لي سوى مجاراة حبك
وأراك الغنيَّ عن كل شكرٍ   كغناء الضياء والطيب عنَّا
إنَّ مَنْ طبعهُ المحبةُ والإخـ   ـلاص يُغنى بطبعه حين يَغنى
ولو اخترتَ في اكتفاءٍ مثالاً   لوفاءٍ لعشتَ سيدَ خَلْقِ
فلذاك الذي أضاف كمالا   من نبوغ إلى مكارم خُلْقِ
وتحمّلتَ — في سنين توالت   كتوالي الأعباء — تهذيب جيلِ
واتخذتَ التواضعَ الحلوَ كالستـ   ـر لما قد وهبتَه من جميلِ
فاذا أصبح الصغارُ أساتيـ   ـذ وما زلتَ أنتَ محضَ الأديب
فعليك الملامُ وَحْدَك في بعـ   ـدك جنبَ الأريب غيرَ الأريب
واذا أنكر الغبيون جدوا   كَ وأمثالُهم مثالُ الجحود
فلأنتَ الذي تسامى ولم يعـ   ـبأ بما قاله شيوخُ القرود !

عزاء (١)

عزاء ، فتلك — إن يمتحن — تكشف عن جوهر منتخب
له من عقيدته مفزع ومن حسن إيمانه محتسب
وإن له الجول (٢) الخالدا ت ، يبيض منهن وجه الأدب

محمد فريد وجدى

---

(١) بعث الأستاذ محمد فريد وجدى بك بهذه الأبيات إلى الأستاذ أحمد الزين يعزيه بها فى خاله .(٢) القصائد التى تجول البلاد

نظرات فى تاريخ الاسلام

« وأشترط على نفسى أن لاأتعرض لذكر ما أعتمده فيما أجده مخالفا لما اعتقده ، فان التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد »

« فخر الدين الرازى »

(٣)

ومن ثم ترى أن الحزب المناوىء للاسلام لم يهدأ له بال حتى أخضع المدينتين المقدستين اخضاعا ، وحتى جعل مسجد المدينة اصطبلا ، وحرق الكعبة ، وأذل أبناء مؤسسى الاسلام إذ لالا وأرغم أنوفهم ارغاما .

ولقد دخلت تلك الفئة القليلة فى الاسلام مرغمة كارهة فى جملة من دخل فيه من العرب ، ثم عرفت فيما بعد كيف تدفع ثمن هذا النصر المضاعف ، غاليا .

وما كان عصر بنى أمية كله إلا انتفاضا وثورة على الاسلام وانتصارا للمبدأ الوثنى ولقد كان الخلفاء أنفسهم — اذا استثنينا الشاذ منهم — لا يأبهون للدين ، وان شئت فقل انهم كانوا من الجاحدين، الا ترى إلى أحدهم — وهو الوليد الثانى ، كيف يطوح به الاستهتار الى أبعد مدى ، وكيف يذهب الى صلاة الجماعة مصطحبا معه بعض عظيماته ، وكيف يتخذ من المصحف هدفا له يخرقه بالنشاب (١)

---

(١) قالوا انه فتح المصحف ذات يوم فرأى فيه قوله تعالى : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » فغضب ومزق المصحف واهوى به الى الأرض وخرقه بالنشاب وهو يقول — :

أتوعد كل جبار عنيد   فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر   فقل : يارب مزقنى الوليد

وتهتك الوليد واستهتاره مما لايحتاج الى تنويه ، وان تغالى أعداؤه فى اضافة شنع الى شنيعه ونسبة مخاز الى مخازيه ، والوليد هو القائل لما أحاط الثائرون بقصره — :

ولقد كانوا لا يرحبون باسلام من يسلم من الأمم التى يخضعونها: من مسيحي الشام وقبط مصر، ومن الفرس و برابرة شمال أفريقيا. وكانوا لا يخشون لاسلام هذه الشعوب نظراً لما يعرفونه من الباعث الحقيقى الذى يدفع جمهرتهم إلى التظاهر بالاسلام

دعوا لى «هندا» و «الرباب» و «فرتنى»

ومسمعة حسبي بــذلك مالا

خـــذوا ملككم لاثبت الله ملككم

فليس يساوى بعد ذاك عقالا

وخلوا سبيلى «قبل عير وما جـــرى»

ولا تحسدونى ان أموت هزالا

يريد بالبيت الأخير: «اتركوا لى هذه الأشياء ثم خذوا الملك منى بعد ذلك ن أتركه لكم فى الحال ولا يهمكم من أمرى شيء بعد وقوله «قبل عير وما جرى» مثل يضرب للسرعة

ولقد كان الوليد متهتكاً مستهتراً يميل إلى مراغمة الناس و يجاهرهم بعصيانه و آثامه واحتقاره ما تواضعوا على احترامه

قالوا: «وكان شجاعا شديد البطش طويل أصابع الرجلين وكان يوتد له سكة حديد فيها خيط و يشد الخيط فى رجله ثم يثب على الدابة فينتزع السكة و يركب دون أن يمس الدابة بيده»

***

حدث بعض الموالين للوليد فقال —:

كنت عند «هشام» وعنده الزهرى فذكر الوليد فتنقصاه وعاباه عيبا شديدا ولم أعرض فى شيء مما كانا فيه فاستأذن الوليد فأذن له ـ وأنا أعرف الغضب فى وجهه فجلس قليلا ثم قام

فلما مات هشام كتب فى فحملت اليه فرحب بى وقال:

«كيف حالك يا ابن ذكوان؟»

وكان مفروضاً على كل فرد لا يدين بالاسلام من الأمم المغلوبة فى البلاد التي فتحها المسلمون أن يدفع الجزية ، فاذا أسلم فقد أعفى من أدائها فى الحال . وكان هذا الاعفاء من أكبر أسباب الدعاية للاسلام ، وقد دخل ملايين من الناس فى دين

والطف المسألة بى ثم قال — :

أتذكر يوم الاحول ، هشام الخليفة ، وعنده الفاسق ، الزهرى ، وهما يعيبانى قلت أذكر ذلك فلم أعرض فى شيء مما كانا فيه ،

قال — : « صدقت أرأيت الغلام الذى كان على رأس هشام ؟ »

قلت : « نعم »

قال : « فانه نمى الى ماقالا ! وايم الله لو بقى الفاسق لقتلته »

قلت « قد عرفت الغضب فى وجهك حين دخلت ! »

ثم قال — :

« يا ابن ذكوان ! ذهب الأحول بعمرى ! »

فقلت —

بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين ، ويمتع الأمة ببقائك فدعا بالعشاء فتعشينا وجاءت المغرب فصلينا وتحدثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا ، وجلس قال : « اسقني » فجاءوا باناء مغطى وجاء ثلاث جوار فصففن بين يديه بيني وبينه ، ثم شرب وذهبن فتحدثنا

واستسقى فصنعن مثل ماصنعن أولا

فما زال على ذلك يتحدث و يستسقى ويصنعن مثل ذلك ، حتى طلع الفجر ، فأحصيت له سبعين قدحاً . »

***

نقول : « ولعل هذا من أعف مجالس الوليد ، ونحب أن لا ينسى القارىء أن راوى هذا الخبر ليس من أعداء الوليد ولا من المتحاملين عليه .

على أن للوليد أخبارا أخرى لاسبيل لنا إلى ذكرها فى هذا المقام لشناعتها وفحشها

الاسلام أفواجاً رغبة فى التخلص من دفع الجزية وكان لهذا الاعتبار أكبر الأثر فى اقبالهم على هذا الدين . وقد قلل ذلك من خراج الدولة ، ونقص من بيت المال . فقد وصل الخراج الذى يجبونه من مصر فى زمن عثمان نفسه إلى أكثر من ضعفه بعد وفاة « معاوية » بزمن يسير ، بسبب تهافت قبط مصر على الاسلام . وكان بعضهم يقبل على الاسلام لأنه ممن لا يرون للدين فى نفوسهم خطرا ، وبعضهم يسلمون حباً فى المال وهرباً من الجزية ، وقد وضع الخلفاء قيوداً وشروطاً للدخول فى الاسلام . ورفض كثير منهم أن يعفى المسلمين الجدد من دفع الجزية محتجاً بأنهم لم يسلموا عن اخلاص ، وأن اسلامهم ليس إلا صورياً وأنهم لا يؤدون شعائر الاسلام .

وكان الخليفة عمر الثانى (١) هو الأمير الوحيد الذى كان مثالا للتقى وصحة التدين فلم يأبه للمال وكان قلبه عامراً بالايمان والتقوى . وقد بذل وسعه فى نشر الدعوة إلى الاسلام دون أن يعنى بزيادة الخراج الذى كان هم غيره الوحيد .

* * *

ولقد قال له بعض عماله :—

« إذا سارت الأمور فى مصر على هذه الوتيرة فسيصبح كل مسيحيها مسلمين ، وسنفقد بذلك كل الخراج ! »

فقال له عمر :—

« لو أسلم كل مسيحى فيها لكان ذلك أكبر سعادة تتطلع اليها نفسى ، فقد أرسل الله رسوله للناس هادياً ونبياً ، ولم يرسله اليهم ليجمع الخراج ويجبى الضرائب ! »

ومن آيات استهتار الوليد بكل شىء مما تواضع الناس على احترامه ، ذهابه إلى صلاة الجمعة وهو سكران وارتجاله أرجوزة بدل خطبة الجمعة

وقد ذكر له أبو العلاء فى رسالة الغفران — كما ذكر له ابن القارح فى رسالته إلى أبى العلاء — شئيا يستطيع القارىء أن يرجع اليها ان شاء

ومن رأى أبى العلاء أن الوليد — مع استهتاره — ليس بدعا فى الخلفاء وأن له أشباهاً ، لا فرق بينهم وبينه إلا أنهم يستترون وبجاهر بعصيانه .

« المترجم »

(١) عمر بن عبد العزيز

وبمثل هذا أجاب عامل خراسان أيضاً حينما شكا له اقبال الكثيرين من الفرس على الدين الاسلام لا لشيء سوى رغبتهم فى التخلص من دفع الجزية ، وقال له: إنهم لا يختتنون أيضاً .

فأجابه الخليفة

إن الله قد أرسل محمداً هاديا للناس الى الطريق السوى ولم يرسله اليهم ليعلمهم الاختتان ، فهو لم يشدد فى تنفيذ هذه الأمور بدقة لا لأنه يجهل أن أكثر الداخلين فى الاسلام غير مخلصين فى ذلك ، ولكنه لأنه يعلم - وهو محق فيما ذهب اليه - أن أبناءهم وأحفادهم سينشأون فى مهد الاسلام ويكون منهم المسلمون الصادقون ، الذين قد يفوقون العرب أنفسهم فى الصلاح والتقوى « للكلام بقية »



سَنابِلُ وأَزهارُ

مختارات من الأدب

مناغاة اعرابية ابنتها (١)

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا
ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

بكت فلم أتئ (٢)

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت ، فبكى مما شجاها قطينها

---

(١) قالتها اعرابية رزقت بنتا فغضب عليها زوجها وهجرها الى بيت قريب منها ، فكانت تناغي ابنتها بتلك الأبيات

(٢) قالوا : إن عبد الملك بن مروان كان يوجه إلى مصعب جيشا ، بعد جيش فيهزمون فلما طال ذلك عليه واشتد غمه ، أمر الناس فعسكروا ، ودعا بسلاحه فلبسه فلما أراد الركوب قامت اليه أم يزيد ابنه . وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية فقالت : « يا أمير المؤمنين ! لو أقمت وبعثت اليه لكان الرأي » فقال : « ما إلى ذلك من سبيل ! » فلم تزل تمشي معه وتكلمه ، حتى قرب من الباب ، فلما يئست منه رجعت فبكت وبكى حشمها معها ، فلما علا الصوت ، رجع اليها عبد الملك ، فقال : « وأنت أيضا من يبكي ، قاتل الله كثيرا كأنه كان يرى يومنا هذا . حيث يقول » وأنشد البيتين الأولين من تلك الأبيات .

ولم يثنه يوم الصبابة بثها • غداة استهلت بالدموع شئونها
ولكن مضى ذو مرة، متثبت بسنة حق واضح مستبينها

كثير

خلافة عبد الملك

أحاطت يداه بالخلافة — بعد ما أراد رجال آخرون اغتيالها

. . . .

فما أسلموها — عنوة — عن مودة ولكن بحد المشرفى استقالها
وكنت — إذا نابتك يوما ملمة — نبلت لها (٢) أبا الوليد نبالها

***

سموت فأدركت العلاء، وإنما يلقى عليات العلا من سما لها
وصلت، فنالت كفك المجد كله ولم تبلغ الأيدى السوامى مصالها

كثير

رثاء (١)

هذه الأرض أمنا وأبونا حملتنا بالكره ظهرا وبطنا
إنما المرء فوقها، هو لفظ فإذا صار تحتها، فهو معنى
لو رجعنا إلى اليقين، علمنا أننا فى الدنا نشيد سجنا

***

إنما العيش منزل، فيه بابا ن، دخلنا من ذا ومن ذا خرجنا
وضروب الأطيار لوطرنا طر ن فلا بد أن يراجعن وكنا

***

يحسب الهم عمره كل حول فإذا استكثر الحساب تمنى
مبتدانا ومنتهانا ســـواء فلماذا من الأخير عجبنا؟

---

(١) أعددت وأخذت أهبتك لها
(٢) من نظم صردر فى رثاء ابى نصر بن صميلة صاحب الديوان

فوجدنا من بعد ما قد عدمنا وعدمنا من بعد ما قد وجدنا

* * *

قد رأينا ، وقد سمعنا لو ان النفـــس ترضى عيناً وتأمن أذنا
خدعات من الزمان ـ إذا أبـ ـكين عينا منهن ، أضحكن سنا

* * *

لو درت هـــذه الحمائم ما نـد ري لما رجعت على الغصن لحنا
صابح الأسهم الصوائب لم يخـ لق لأهدافهن ـ عمد ـ رمحنا
تتوارى بالسابرى وتلقى من وراء الضلوع ضربا وطعنا
مورد غص بالزحام ، فلولا سبق من جاء قبلنا لوردنا

* * *

وأدرى الدهر مفردا ـ وعوف حا ل يشن الغارات ـ هنا وهنا
ما عليه لو أنه كان أبقى من أبى نصر المهذب ركنا
والفا . للصغير برا وللتر ب أخا مشفقا وللأكبر ابنا
ما مشت فى فؤاده قدم الغـــش ، ولا أسكن الجوانح ضغنا
إن يكن للحياء ماء ، فما كا ن له ـ غير ذلك الوجه مزنا

* * *

أغمض العين ـ بعده ـ فعريب أن ترى مثله ، وأين ؟ وأنى ؟
فالقصور المشيدات تعزى والقبور المبعثرات تهنى

صردر

قيس بن رفاعة يفخر بنفسه (١)

من يصل نارى بلا ذنب ، ولا ترة يصل بنار كريم غير غـــدار

* * *

أنا النذير لكم منى ـ مجاهرة ـ كى لا ألام على نهى وإنذار

---

(١) قالوا : لما قتل عبد الملك ـ مصعب بن الزبير ، دخل الكوفة ، فصعد المنبر ،

فان عصيتم مقالي — اليوم — فاعترفوا | أن سوف تلقون خزياً ظاهر العار
لترجعن أحاديثاً ملعنة | لهو المقيم ، ولهو المدلج السارى
من كان في نفسه حوجاء (١) يطلبها | عندي ، فاني له رهن باصحار (٢)
أقيم عوجته — إن كان ذا عوج — | كما يقوم قدح النبعة البارى
وصاحب الوتر ، ليس الدهر مدركه | عندي ، وإني لدراك بأوتار

نادرة

قال أبو علي الفارسي:

دخلت مع شيخنا أبي اسحق الزجاج على القاسم بن عبد الله الوزير فورد اليه الخادم . فساره بسر استبشر له ، ثم نهض ، فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم ، فسأله شيخنا عن ذلك — لأنس كان بينهما — فقال له : « كانت تختلف الينا جارية لاحدى القينات ، فسمتها أن تبيعني إياها فامتنعت من ذلك ، ثم أشار عليها أحد من ينصحها ، بأن تهبها إلي رجاء أن أضاعفها ثمنها ، فلما جاءت أعلمني الخادم بذلك فنهضت مستبشراً لافتضاضها فوجدتها قد حاضت فكان مني ما ترى .

قال : فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه ، وكتب :

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ثم قال :

« أيها الناس : إن الحرب صعبة مرة ، وإن السلم أمن ومسرة ، وقد زبنتنا الحرب وزبناها (دفعتنا ودفعناها) ، فعرفناها وألفناها ، فنحن بنوها وهي أمنا .

أيها الناس : فاستقيموا على سبل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية ، وتجنبوا فراق جماعات المسلمين ، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ، وأنتم لا تعلمون أعمالهم ، ولا أظنكم تزدادون — بعد الموعظة — إلا شراً ، ولن نزداد — بعد الاعذار اليكم إلا عقوبة ، فمن شاء منكم أن يعود بعد لمثلها فليعد ، فانما مثلي ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة : (وأنشد تلك الأبيات)

(١) حاجة (٢) بروز إلى الصحراء ، أي أني لا أختفي منه ولا أستتر عنه .

فارس ماض بحربته حاذق بالطعن فى الظلم
رام أن يدمى فريسته فاتقته من دم بدم (١)

---

(١) ولهذه القصة رواية أخرى ، وهى أن المأمون حين دخل على بوران بنت الحسن بن سهل — بعد أن عمل لها من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله — وجدها حائضاً ، فتركها فلما قعد للناس من الغد دخل عليه أحمد بن يوسف الكاتب ، وقال يا أمير المؤمنين : هناك الله بما أخذت من الأمر باليمن والبركة والظفر بالمعركة ، فأنشده المأمون :

فارس ماض بحربته صادق بالطعن فى الظلم
رام أن يدمى فريسته فاتقته من دم بدم





الايمان

قصيدة لالفونس دى لامرتين

أيها العَدَم ! أيتها الهاوية الصامتة التى خرجتُ منها ، وسأعود اليها ، لماذا تركتِ المرءَ يفلت منك ؟ فقد كنتُ أنام فى أحضانك نوماً عميقاً ، لا تزعجه أحلام ، ولا تخيفه يقظة ، نوماً هنيئاً وأنا ملتحفٌ بالنسيان الابدى فى أزلية اللانهاية ، دون أن ترى عيناى هذا النهار الزائف الذى أمقتُه ، وهذه الحياة التى لا أجدفيها ، غير شقاء يتكدس فوق شقاء ، وتعاسة تزحم تعاسة .

لقد شاءت الاقدار أن آتى إلى هذا الوجود ، ولو خُيِّرتُ لآثرتُ البقاء فى غياهب العَدَم ، ولكن أنى للانسان أن يؤبه برأيه ، فقد حُكم عليه أن يرى الحياة ، ولا مَردَّ لحكم القضاء ، فما ذلك الشفق البادى لاول مرة ؟ وتلك اليقظة المضطربة ، يقظة المخلوق الذى يجهل نفسه ، وهذا الفضاء الممتدُّ أمامه ؟ وهذه النظرات العميقة ، التى يلقيها المرءُ مسائلاً السماوات ، وهذا الافتتان المُبْهَمْ والامل الذى يملأ الجوانح ؟ . . كل هذا يَبهر بصره ، وهو لم يزل بعد على عتبة الوجود ، وفى فجر الحياة .

سلاماً ! أيها المقرُّ الجديد حيث ألقانى الزمن ، سلاماً أيتها الكُرَة الشاهدة لما يخبئه لى المقدور بين طيات الغيب ، سلاماً أيها المصباح المقدس المغذى للطبيعة ، أيتها الشمس الحبيبة الاولى لكل كائن حى ، سلاماً أيتها السماء الحاجبة وجه الخالق العظيم ، وأنت أيتها الارض

مَهْد الانسان . لأنت قصر مُنيف يقضي فيه المرء حياته الفانية ، ثم ينحلُّ غلافه الى ذرّات ، تندغم في ذراتك .

سلاماً أيها الانسان، الآتي الى هذا العالم الفاني على كُرهٍ منك ، انك خدِيني واخي ، وانتِ أيتها الكائنات ، يا أداة سعادتي وهنائي ، — اذا كان ثَمَّ هناء وسعادة في هذا الوجود — سيري في الطريق الذي خُطَّ لكِ ، غير عابئة بشعور يتألم ، وآمال تتحطم ، فقد أضفتُ بمجيئي اليكِ ، قلباً الى تلك القلوب الكسيرة ، وفؤاداً الى تلك الافئدة المنسحقة .

انه لحُكم لذيذ ، يستأثر اللب ، ويستهوي المشاعر ، ولكنه : وا أسفاه ! لم يخرج عن كونه حلماً فقد بدأ قريبا ، وانتهى وَشيكاً ،لان الآلام المبرِّحة فتحت لي قبل الاوان ، أبواب القبر ، الذي يتطلع اليَّ ويدعوني ، فسلاماً يا يومي الاخير ، وكن لي أجمل يوم اكتحلت به عيناي في رحلتي الارضية .

لقد عشتُ ؛ لقد قطعتُ مفازة هذه الحياة ، حيث تذبل دائماً تحت قدميَّ ، كل زهرة من أزاهير الهناء ، حيث دائماً الامل يخدع الاماني ، مظهراً لي السعادة في أفق خافق مضطرب ، حيث أنفاس الموت الحارّ تيبس تحت شفتيّ كل الينابيع العذبة الباردة .

ولقد أرى غيري يذوب حسرة على ما ولّى من حياته ، فيلتمس من الماضي عَوْداً ؛ باكياً على فجر ربيعه الآفل ، نادبا الاويقات التي اقتطعها الزمن من حياته ، كأن العيش بهجة وصفاء ، لا تعاسة وشقاء

أما أنا ، فلو أن القَدَر بلّغني مُنى النفس وامانيها ، وحباني

بالثراء والسؤدد والمجد ، واعطانى كل مفاخر العالم ، ومنحنى الحكمة والجمال والصبا الخالد ، لأعرضت عن المنح غير آسف ، لانى لااصبو الى العيش فى دنيا زائلة فانية ، تذبل ذبول وردة عند لفح السموم ، دنيا كل ما فيها مضطرب مشوش مبهم ، فالذكرى الخالدة تبلى فيها ويعفو أثرها ، ويوم الهناء لاتبزغ فيه شمس ، ولا يعقبه غد

أيها اللهيب الذى يفترسنى ، أيها الروح ، أى شىء أنت ؟ هل ستحيا بعدى ؟ هل ستتألم اذا تركتك ؟ أيها الضيف الخفى المستتر ، ماذا سيحل بك بعد هجرى ؛ هل ستنضم الى مشعل النهار وتندغم فيه؟ اذ قد تكون شرارة ضئيلة من ناره ، أو شعاعاً تائهاً يرتد اليه ، ويعود الى مصدره ، أو عصارة نقية كونتها الارض ، أو طيناً نفخت فيه نسمة الحياة ، أو صلصالا حياً مفكراً ، ولكن ماذا أرى ؛ لم ترتعد فرقاً؟ أتخشى العدم وأنت تعبت من الآلام ، أتخاف الحياة وترتجف من الموت ؟

أيها اللغز الخفى ، من يحلك ، ويفسر أحاجيك ؟ عبثاً أصغى الى أصوات حكماء العالم ، فالشك قد تطرق أيضاً الى هذه العقول الجبارة اذ لم تخرج عن كونها مجبولة من صلصال كغيرها ، فمنذ الفى سنة ونيف افنى سقراط عمره باحثاً منقباً ، واحتذى حذوه افلاطون ، ولكن عبثاً وها أنذا اليوم أسعى وأبحث ولن أفوز بضالتى ، وستمضى ألوف السنين ، وبنو آدم يتخبطون فى الظلام الذى نحن فيه ، والحقيقة الشاردة بمنجاة من قبضة أيدينا ، والله وحده يجمع كل أشعتها المتفرقة

والآن وقد أوشكت أن أغمض عينى عن نور هذه الحياة ، فلا

أجد اقل أمَل يواسيني في ساعتي الاخيرة ، فستسير رُوحي دون دليل ولا ضياء ، من ليل هذه الحياة الداجي ، الى ليل القبر الحالك ، حاملة الى العالم المجهول ، فضائلي دون أمل ، وآلامي دون ثواب .

أجِبْني أيها القضاء الظالم المشوم — اذا كان ثمّ شيء يسمى قضاء — اذ لي الحق المشؤوم ان العن شرائعك ، فبعد كدّ النهار وتعبه ، يحق للأجير أن يأوى الى ظلال الراحة والهدوء ويقبض كراءَه ، ولكني عندما أنوء تحت حِمل القدَر ، لايكون جزائي بعد مشقة الحياة وآلامها غير الموت !

* * *

ولكن بينما في يعبق بنشوة الشك والتجديف ، وعيناي تنظران الى قبري ، وتبكيان على نفسي ، استيقظ في الايمان كأنه ذكرى لطيفة ، والقى شعاعاً من الامل على مستقبلي الكالح ، فانعشني تحت ظل الموت والهب قواي ، واعاد الى أيامي العتيقة شباب النفس وريعانها ، فصعدتُ تحت ضوء هذا المشعل المقدس ، من مغرب حياتي الى صباحها الضاحك ، وتجلى أمامي حظ الانسانية جمعاء ، وتبدّى لناظري نظام الكون البديع وتسلسلَ اشيائه المنسجم ، وقرأت في صفحة المستقبل صواب الحاضر ، فاغلقَ الامل ورائي أبواب العدَم ، فاتحاً الأفق لرُوحي النشوى ، ومفسّراً بالموت لغز الحياة

وهذا الايمان الذي ينتظرني على حافة القبر ، وا أسفاه ! لقد تذكرته : فقد حام فوق مهدي ، وهو الارث الخالد لارض الميعاد ، يتركه الآباء للابناء من جيل الى جيل ، ويتقبّله عقلنا منذ يقظته الاولى ، عطية آلهية

كما يتقبل الحياة ونور الشمس ، فهو اللبن المُغَذِّى للروح ، ينسكب من فم الام ، فيملأ جوانحنا ثقة ، وقلوبنا أملاً . يتغلغل الى الانسان فى فصله الغضّ ، فيشع نبراسه فى الفؤاد ، قبل أن ينفتق الذهن ويعيى العقل ، والطفل فى مهده لا يكاد يتلفظ بمخارج الكلام ، حتى يتم تلوينه السامى فينمو فى قلبه ، تحت رعاية الام الحنون ، جنباً الى جنب مع الفضيلة ؛ دون أن يشعر به حتى تتأصل جذوره ، فيورق ويثمر .

حبذا لو أن الحقيقة جُعِلَت لهذه الارض ، فقد عُرضت على أنظارنا منذ طفولتنا ، وتسللت الى نفوسنا من كل جهة ، عن طريق الحواس ، كما يتسلل الشعاع الطاهر ، من اللهيب السماوى ، فقد أحاطت بنفوسنا منذ انبثاق فجرها ، وانحدرت الى قلوبنا من مداركنا ، فانضمت لتذكاراتنا ، وذابت فى أخلاقنا ، كحبة خصبة يبذرها الشتاء ، فتنبت فى أفئدتنا طويلا قبل أن تفرخ ، حتى اذا جاوز الانسان صيفه المملوء اعصاراً برزت أغصانها ، وتفتحت اكمامها ، واينعت ثمارها الالهية للخلود .

أيتها الشمس السرية ، يا صباح العالم الآخر ، أميرى عينيّ المطفأتين نورك الرمزى . إنبعث من احضان العلى ، أيها الشعاع المعزّى ، أشرق فى قلبى أيها الكوكب الخفى . لهفَ نفسى ، ليس لى غيرك فى ساعاتى العصيبة ، فهذا العقل الانسانى سراج ضئيل ، يخبو كالحياة على أعتاب القبر ، فتعالَ لتحل محله أيها النور السماوى ، تعالَ لتُفيض على جفنىّ يوم الاسحاب فيه أعضنى عن الشمس التى لن أراها فيما بعد وأبرز الافق كما ينير كوكب المساء ، لأحظى بحياة سرمدية خالده ، برهتها آجال ، وهنيهتها اجيال .

طنطا نصيف جورجى نيقولاوس

نساء العرب والحرب

للنساء فى الاسلام حضارة واسعة المدى مترامية الاطراف إذ نبغ منهن من اشتهرن بالعقل والحكمة وسعة الاطلاع وكان لهن أكبر تأثير فى الهيئة الاجتماعية والانقلابات السياسة وضربن بسهم وافر فى مختلف العلوم حتى ظهر منهن من قدن الجند وتولين الملك ومن شغلن مراكز كبيرة فى الدولة . فضلا عن المشتغلات بالفنون الجميلة والكاتبات والشاعرات والطبيبات والمشتغلات بعلوم الحديث والفقه حتى أن جهابذة الرجال اخذوا عنهن وأجزن (١) للكثير منهم مثل العلامة ابن عساكر المحدث والمؤرخ وأبو نواس الشاعر المشهور والعلامة ابن حجر العسقلانى المؤرخ وغيرهم مما لاتتسع هذه العجالة لذكرهم

وقد حفظ لنا التاريخ اسماء النابغات منهن منذ صدر الاسلام الى وقتنا هذا .

وسندلل بشذرات صغيرة عن اشتراكهن فى ميادين القتال ومداواتهن الجرحى واكبابهن بما لهن وحليهن لمساعدة الجيوش

غزوة بدر — سنة ٢ هـ — ٦٢٤ م فى هذه الغزوة تقدمت أم سليم ورقة بنت نوفل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له ائذن لى فى الغزو معك أمرض مرضاكم لعل الله يرزقنى الشهادة . قال قرى فى بيتك فان الله عزوجل يرزقك الشهادة . فكانت تسمى الشهيدة

غزوة احد شوال سنة ٣ هـ مارس سنة ٦٢٥ م من ابطال هذه الغزوة أم حبيب نسيبة بنت كعب

وكانت أم قيس بنت عبدالله تملأ الماء فى القرب وتسقى الجيش

وبينما كان المسلمون تقاتلون كانت النساء فى حصن حسان بن ثابت ومعهن صفية (٢) عمة النبى صلى الله عليه وسلم وإذا بيهودى يطوف بالحصن فنزلت صفية

---

(١) الأجازة بمثابة الشهادة فى عصرنا

(٢) فى تاريخ الاسلام للذهبي أنها كانت يوم الخندق

،وأخذت سيفا وقيل هراوة فضربت اليهودى حتى قتلته.

غزوة تبوك — سنة ٩ هـ ٦٣٠ م فيها اعان النساء الجيش بكل ماقدرن عليه وقدمن لرسول الله صلعم معاضد وخلاخل وأقراطا وخواتيم لاعانة المسلمين فى جهازهم والناس فى عسرة شديدة.

فتح اليمامة — سنة ١٢ هـ ٦٣٣ م من نابغات النساء فى هذه المعركة أم حبيب نسيبة بنت كعب ظلت تقاتل حتى انصرفت وبها جراحات. وأم عمارة بنت كعب الانصارية

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ — ٦٣٥ م اشترك فى هذه الواقعة الصبيان والنساء مع المجاهدين فكن يدفن الشهيد وتحمل اليهن الجرحى لمعالجة كلومهم

ومن الشجاعات فى هذه الوقعة الخنساء الشاعرة . قاتلت ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم أول الليل.

ويابنى انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذى لا اله إلا هو انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ماخنت اباكم ولا فضحت خالكم ولاهجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية . يقول الله عز وجل ويا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فاذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى على سياقها ، وجللت نارا على أرواقها ، فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالمغنم والكرامة فى دار الخلود والمقامة . فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح بادروا إلى مراكزهم واستمروا يقاتلون حتى قتلوا رحمهم الله تعالى فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعني بهم فى مستقر رحمته

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد مائتا درهم حتى توفى .

ومن نظمها

تعرقنى الدهر نهسا وحزاً وأوجعنى الدهر قرعاً وغمزاً

وأفنى رجالى فبادوا معا فأصبح قلبى منهم مستفزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وفيها تقول

ونلبس للحرب أثوابها ونلبس فى الامن خزاً وقزا

مرج الصفر — سنة ١٤ هـ (٦٣٥م) أقام المسلمون بها خمسة عشر ليلة من المحرم ثم رجعوا إلى دمشق فحاصروها ستة أشهر إلا يوماً

ولما كانت وقعة اجنادين التقوا على النهر واشتد القتال وانتصر المسلمون وقتلت يومئذ أم حكيم أربعة من الروم بعمود فسطاطها

واقعة اليرموك (سنة ١٥ هجرية — سنة ٦٣٦ م) فى هذه الوقعة انتصر المسلمون انتصارا باهرا على الروم وكان للنساء فى هذا النصر نصيب يذكر بكل ثناء وإعجاب فقد قاتل نساء من قريش بالسيوف حين دخل العسكر. منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام

ولقد كان لهن فى هذه الواقعة مواقف مشهودة واليهن يرجع الفضل فى نصرة المسلمين ففى ميدان القتال بعد ان خطب ابو سفيان بن حرب فى الجيش مشجعا رجع الى النساء اللاتى مع المسلمين. وكان كثير من المهاجرات قد حضرن يومئذ مع أزواجهن وأبنائهن وجلسن خلف صفوف المسلمين فأمر بالحجارة فالقيت بين أيديهن ثم قال لا يرجع اليكن أحد من المسلمين الا رميتموه بهذه الحجارة وقلن له (من يرجوكم بعد الفرار عن الاسلام وأهله عن النساء وهم أمام العدو .اقتلاه)

ولما نشبت الحرب بين الفريقين وحمى وطيسها تقهقر بعض المقاتلين من المسلمين فاستقبلهم النساء ومعهن عمد البيوت وأخذن يضربن وجوههم ويضربونهم بالحجارة

وفى أثناء القتال انكشف فريق من المسلمين وثبت فريق آخر وركبت الروم اكتاف من انهزم حتى دخلوا معهم المعسكر فاستقبلهم نساء المسلمين بعمد الفساطيط يضربن بها وجوههم ويرمونهم بالحجارة ويقلن أين أين عز الاسلام والامهات والازواج، فيعطف الذين انهزموا الى باقى صفوف المسلمين

واستمر القتال حتى شد طرف من الروم على عمر بن العاص فانكشف هو وأصحابه

حتى دخلوا أول العسكر وهم فى ذلك يشدون و يقاتلون فنزل النساء بعمدهن من التل تضربن وجوه الرجال . ونادت فى الناس ابنة العاص (قبح الله رجلا يفر عن حليلته وقبح الله رجلا يفر عن كريمته)

وسمع نسوة منهن يقلن، لستم بعولتنا ان لم تمنعونا ، فتزد المسلمون وزحف عمرو وأصحابه حتى عادوا الى قريب من موقفهم واجتمع المسلمون وحملوا على الروم حتى اضطروهم الى صفوفهم وشد المسلمون باجمعهم شدة واحدة حتى تم لهم النصر

ومن بطلات هذه الواقعة اسماء ابنة يزيد فانها قتلت بعمود خبائها تسعة ومنهن هند ابنة عتبة ام معاوية بن ابي سفيان

ومنهن أيضا خولة بنت ثعلبة الانصارية

واقعة صفين سنة ٣٨ هـ ــــ ٦٥٨ ــ ٦٥٩م

كانت بين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومعاوية، وكان للنساء فيها شأن يذكر وكان يسمع نداء الزرقاء ابنة عدى وهي تحض على القتال وتوقد الغيرة فى صدر الجبان وتجعل الحياة رخيصة . ولكن هذه العجالة تضيق عن حصر كلماتها هى ومن ساذكرهن

فما قالته

«أيها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها فصبرا يا معشر المهاجرين على الغصص فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق بالظلمة فلا يجهلن أحد فيقول كيف وانى ليقضى الله أمرا كان مفعولا . الا وأن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجل الدماء . . .

و منهن عكرشة ابنة الأطرش كانت متقلدة سيفا وتنادى فى صفوف المجاهدين «أيها الناس عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم . ان الجنة لايرحل من توطنها ولايهرم من سكنها ولا يموت من دخلها . فابتاعوها بدار لايدوم نعيمها ولا تتصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم»

ومنهن أم الخير ابنة حريش فانها كانت تحرض الفرسان على الثبات وتوجج فى

قلوبهم نار الحمية بما يحثهم من الاقوال الحماسية، والمظاهر التي تلتهب لها الصدور غيرة فمن قولها

«يا أيها الناس:اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم.ان الله قد أوضح لكم الحق وابان الدليل وبين السبيل ورفع العلم ولم يدعكم فى عماء مدلهم . فاين تريدون رحمكم الله. أفرارا من أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف.أم رغبة فى الاسلام .أم ارتدادا عن الحق . أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم . . .

غزالة امرأة شبيب

وفى سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) حصلت وقائع بالموصل بين الحجاج وشبيب ابن يزيد بن نعيم فبعث اليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد ثم خرج الحجاج لقتاله .

وكان يقاتل مع شبيب ام جهزة وامرأته غزالة وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم تقاتل فى الحروب بنفسها . ولقد نذرت مرة لتصلين فى مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما سورتى البقرة وآل عمران فاقدمت على المسجد فى سبعين فارسا فصلت فيه الغداة وخرجت من نذرها. وبرزت يوما للحجاج فكشفته عن عسكره وقصدت الراية فولى بين يديها منهزما وفى ذلك يقول من يهجوه

أسد على وفى الحروب نعامة فزعاء تفزع (١) من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحي طائر

فى سنة ٨٠ هـ ٦٩٩ م سار يزيد بن أبي كبشة فالتقى هو والريان النكرى بالبحرين ومع الريان امرأة تقاتل اسمها جيدا وما زالت تقاتل حتى قتلت

وفى سنة ١٢٣ هـ ٧٤٠ — ٤١ م — خرج عشرون ألفا من الروم ونزلوا ملطية فأغلق أهلها أبوابها وظهر النساء على السور عليهن العمائم (٢) وقاتلن .

ولو المقرافع (٣) الأقطع أمير العرب بنواحي بغداد أراجيدة فى الحروب

---

(١) وفى رواية فتخاء تجفل من صفير الصافر

(٢) العمائم . من أزياء النساء استعملت منذ الصدر الأول للاسلام وظلت موجودة الى القرن الثالث عشر الهجرى

(٣) توفى رافع المذكور سنة ٤٢٧ هـ

فتح أرسوف ٦٦٣ هـ ١٢٦٥ م افتتحها الملك الظاهر بيبرس واشترك النساء مع المجاهدين وقدقن بمداواة الجرحى والقيام بحوائج الجيش ومنهن من تولى جر المنجنيق وهو عمل شاق بمثابة عمل الطوبجى فى الجيش

حرب الوهابيين سنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٣ م . سافر طوسون باشا من الطائف ومعه ٢٠ جندى للغارة على (ترية)، لحرب الوهابيين ولم يحصل من قبائل العرب مقاومة شديدة ما اجراه عرب أبى جوم فى تربة وكان قد لجأ اليها معظم عساكر الشريف غالب فصارت تجمع كل الوهابيين الموجودين فى الجنوب . كما أن الدرعية تجمعهم فى الشمال وكان قائد هؤلاء العربان فى هذا الوقت أرملة اسمها غالية كان زوجها أشهر رجال هذه الجهة وكانت هى على غاية من الغنى والثروة فوزعت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يرغبون فى محاربة الترك . فلما أمر عساكره بالهجوم كان العرب محافظين على أسوار المدينة بشجاعة ومستبشرين بوجود غالية معهم وهى المقدمة عليهم فصدوا طوسون وعساكره

وفى اليوم الثانى شرع طوسون وعساكره فى التقهقر فاضطروا الى ترك خيامهم وسلاحهم وكانت النتيجة المنتظرة لهذا الفشل أن يموت جميع العساكر لولا أن شرذمة من الخيالة استردوا مدفعاً وحفظوا بضبط فى الرجعة وتعطلت بعد تلك الاجراءات الحربية ثمانية عشر شهرا

(شذرات عن شجاعتهن)

أم عطية الانصارية تنسية روى عنها أنها قالت غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم فى رحالهم وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى

روى لنا الذهبى فى تاريخه أن أسماء ابنة أبى بكر اتخذت خنجرا فى زمن سعيد ابن العاص للصوص ، وكانوا استفزوا من المدينة فكانت تجعله تحت رأسها .

جرح فتى من العرب لجأ الى أمه يستسقيها ماء فقالت له ان الماء لن يفوتك أبدا اذهب خذ ثارك ، وأخرجته ولم تسعه هذه عجالة صغيرة عن اشتراك النساء المسلمات فى القتال راعيت فيها الايجاز اتقاء للملل . وقد أعطتنا صورة واضحة عن شجاعتهن فى عصور الاسلام وما كان لهن من أثر حسن فى الفتوحات الاسلامية ؟

حسن عبد الوهاب

شقيقة الدهر

أو أم الهول

تزيّفتْ ويدُ الأيامِ قد رسمتْ   على الجبين سطوراً تُعلن الرأيا
أن الزمانَ مشى يلهو بخلقتِها   كما يعكّرُ طفلٌ صافيَ الماءِ

***

لكنّما الماء يصفو بعد خلطته   وخلقة المرء لا تُجلَى ولا تصفو
فما لها تخدع الشبّانَ واهمةً   أن الشباب بأرواحٍ لها يهفو!!

***

تزيّفتْ ثم غالتْ في تزيّنها   حتى بدتْ كفتاةٍ في فتوّتها
لا فرقَ في الثوب ، فالفستانُ مرتفعٌ   يعلو عن الجوربِ السامي لرُكبتها

***

كفاكِ ! صونى سنيناً قد عبثتِ بها   وخلّفي الغيدَ تلهو وحدها حينا
كلٌّ له وقتهُ إن زاد تمقتُه   كلُّ العيونِ ولو قد زاد تزيينا

***

الحُسنُ من نعمة الرحمنِ موهبةٌ   لا في المساحيقِ أو في حق سيمونِ (١)
إن كان يبقى جمالٌ في طلاوته   يبقى الطلاء على وجهٍ بلا حينِ (٢)

***

صونى السنينَ فقد أصبحتِ صورةَ ما   يسامرُ الرملَ في صحراوةِ الجيزه (٣)
وخبّرى الناسَ عن (مينا) إذا سألوا   في مصرَ ، أو سألوا في الصين عن (بوذا)

حسن كامل الصيرفي

---

(١) حق سيمون : هو كريم سيمون المعروف ويعلنون عنه أن فيه سر الجمال

(٢) بلا حين : بلا وقت محدود

(٣) هو أبو الهول

مفتاح القلوب

الأستاذ الشاعر عبد الرحمن شكرى فى طليعة الشعراء المجددين فى مصر بل فى العالم العربى . وكل دراسته للشعر الحديث لاتتناول أجزاء ديوانه الحافل تكون فى اعتبارنا ناقصة وقد أصدر حتى الآن سبعة أجزاء عامرة من نفيس الشعر . وهذه القصيدة الوجدانية البديعة من الجزء الثامن المحفوظ ، ونحن ننشرها مغتبطين شاكرين لاتنويهاً بفضل هذا الشاعر الجليل الذى تكفيه مدى العمر فتوحاته الماضية .

هل عندكَ الخُبْرُ والخَبَرْ عن مُعْلَنِ السِّرِّ ياقَدَرْ ؟
فَهَبْهُ لى أَتَّقِ الأعادى وأَعرفُ الصادقَ الأَبرْ !
مِنْ قَبلِ أن أَتَّهم الموادى والْعَقَّ الصابَ والصبرْ
فأعرف الخافيات طُرّاً إلى المودّاتِ والسيرْ
ياطالما غرنى ابتسام كم بلهمه قلبه كَثَرْ !
قد جرتْ دهراً وحار مثلى قومٌ يُهابُ الذى استترْ !

* * *

هل عندكَ الخُبْرُ والخَبَرْ عن مُعْلَنِ السِّرِّ ياقَدَرْ ؟
ليقرأُ العاذلونَ غيبى ويأمنَ الحبُّ إنْ نَفَرْ !
واحرَّ قلبى إذا تناءى وخالنى الغادرَ المكرْ !
فيعرف الخلُّ أنَّ قلبى أَصفى من العذبِ في الغُدُرْ
قد أخفقَ الحبُّ فى بيان وأخفقَ اللحظُ والبصرْ
وأخفقَ العيشُ وهو سِفرٌ يُتْلَى على الحازمِ الحَذِرْ !

* * *

هل عندكَ الخُبْرُ والخَبَرْ عن مُعْلَنِ السِّرِّ ياقَدَرْ

عبد الرحمن شكرى

الامبراطور ابومسلم

ومقالات (القتل السياسى فى الاسلام)

كنا أردنا وضع حد لهذا البحث التاريخى بعد أن نبهنا فى عدة ردود على هذه المقالات التى تكتب تحت عنوان القتل السياسى فى الاسلام بجريدة السياسة الاسبوعية. وأن هذه الحقيقة تنحصر فى نقط محدودة من التاريخ الاسلامى فى القرن الاول للهجرة. وأنه لمن الخطأ الواضح الاسترسال فى ايراد القصص التاريخية معنونة هكذا ولكن بعد أن محضنا النصح فلم يسمع لنا ماضرنا أن يسرد تحت هذا العنوان جميع القصص التاريخية منذ بدء الخليقة إلى برقيات آخر ساعة من حوادث العالم وحتى تاريخ أوربا القديم والحديث والثورة الفرنسية ونابليون وماأشبه ذلك. كما أنه ماضرنا أن نستمر فى ملاحظاتنا على هذه المقالات لامن باب الاهتمام بشأنها وإنما لنتسلى بما فيها من سفساف

اعتدنا فى ردنا على صاحبنا أن ننقل بعض عباراته حرفياً ثم ناقشها منطقيادون افتيات أو تحامل وهاك أول مابدأ به من المقال المعنى بهذا الرد قال أتقدم اليك بشخصية من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها. وأنا لا أعرف رجلا قد تذوق شيئا من المنطق والتاريخ يذهب إلى أن شخصية أبى مسلم من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها إلا إذا كان لم يعرف من التاريخ غير أبى مسلم وإلا فأين أبومسلم هنا من الحجاج بن يوسف وهو تلك الشخصية الفذة التى حملت من اعباء الحوادث ماينوء تحتها آلاف أبى مسلم وأخضعت من رقاب كانت تطاول الجوزاء ونكست من رءوس ماكان لتنكسها سطوة كسرى ولاجبروت قيصر وأرغمت أنوفا لم تكن راغمة لولا عزمة من الحجاج تكل دونها عزمات الرجال ذلك؟ الرجل هوذو الشخصية التى يقال عنها بحق إنهامن أضخم شخصيات التاريخ وأروعها . ومن الغريب أن الحجاج تقدم فى بحوث صاحبنا قبل ذكر أبى مسلم، فلم وقع نظره على هذا الاخير وتقدم به

مقرونة شخصيته بشخصية الامبراطور نابليون ، ومالك ياهذا ونابليون في ذكر أبي مسلم وغير أبي مسلم من عمال وأجراء ومسخرين يعملون لمجد الغير وليس لهم مطمع في أن يستقلوا بهذا المجد بل ولا ما كانت لتجرى به ألسنتهم إلا مقرونا باسناده إلى أهله والتوسل بهم في انجاح مسعاهم. فهل كان ذلك شأن نابليون في حياته التاريخية ؟أم أن لنابليون شأن آخر غير شأن أبي مسلم من استقلال وعظمة وسؤدد وعبقرية فذة في الاصلاح الاجتماعي والسياسي والادارى وغير ذلك من المزايا والصفات التي لو عرفها ذلك المؤرخ لو فرعلى السياسة الاسبوعيـة ذلك الفراغ من صفحاتها القيمة لتشغل من غيره بكل قيم مفيد. ذهب أبو مسلم الى ابراهيم الامام وقبل يده فبارك ابراهيم وولاه الشيعة الخرسانية ، وكون ابي مسلم شاباً أو شيخا فليس هذا محل بحث المؤرخ المسئول الذى يعنى مايقول، وإنما يكفى أن تقول ان أبا مسلم كلف بالقيام بالدعوة العباسية وهو رجل تام الرجولة كان قد تجاوز سنه سن ضابط تخرج عندنا من مدرسة الحربية في هذا العصر فليس فيما فعل من مجهود ومانال من نجاح غرابة بالنسبة إلى سنه وليس هذا مما يصح أن يعطى أهمية تاريخية ويكون وجها من وجوه المقارنة بين أبي مسلم ونابليون وليس من المستغرب أن ينال الانسان مجده في ابان شبابه بل هذا هو الاصل في نيل الرغائب والظفر بحاجات النفوس. يقول حضرته (وحيث أني قد طرحت بين يديك المقارنة بين هذين العظيمين فاسمع ماأقوله عنهما) ثم بدأ بأبي مسلم فنقل فيه عبارة بن خلكان حرفيا حتى استغرقت صفحة من صفحات السياسة إلى أن انتهت بقتل أبي جعفر المنصور لابي مسلم وبينا نحن في مسأمتنا من تلاوة قصة بن خلكان وتاريخ أبي مسلم المعروف ننتظر جديداً عن تاريخ نابليون حتى نعرف اتفاق الرجلين العظيمين في المزايا والصفات وهما اللذان تقدم لنا بهما حضرته مقرونة شخصية كل منهما بشخصية الآخر. نعم. انتظرنا وانتظرنا طويلا وباشتياق عظيم لأن يطرح أمامنا تاريخ نابليون كما وعدنا في مقدمته فاذا الامضاء الكريم ولختمت المقالة ولم نر أثراً في التكلم على الامبراطور نابليون كما تكلم عن امبراطوره أبي مسلم عدا المقارنة الفارغة التي صدر بها مقاله وعدا تلك الجملة الركيكة التي جاءت عرضا ضمن كلامه وهي قوله (كذلك نابليون قام لمجد فرنسا فأمعن في

التوفيق وأخضع أوربا وغير أوروبا ورفع نفسه إلى العرش عقب الثورة الفرنسية إلى أن قال (ومن العجيب أن حياة كليهما انتهت بفاجعة فالاول قتل بيد أبي جعفر والثاني مات مهموما في منفاه) وإلى هنا اعتقد هذا المؤرخ الساذج أن المقارنة تقدمت بين الرجلين فقال (والآن وقد فرغت من هذه المقارنة فسأعود بك إلى المترجم) وحيث أن حضرته تهرب من الكلام على نابليون لانه لم يعثر له على ابن خلكان آخر ينقل منه عبارته فنحن نرحم ضعفه من هذه الوجهة ونناقشه في عبارة الصدر . يقول المؤرخ اللبق في مقارنته اللطيفة (أن ذهاب أبي مسلم إلى خراسان وحربها كان بعد العشرين اظفر نابليون في استرلتز كان بعد العشرين بسنين) كنت أريد أن أغض عن هذه النقطة المهمة من جهل هذا المؤرخ بتحديد سن كل من الرجلين في الحادثتين المهمتين اللتين اختارهما للمقارنة بينهما ، لكن أمانة النقد تأبى إلا أن تسوق هذه الملاحظة الدقيقة ليعلم القارئ ما إذا كان هذا المؤرخ يكتب عن علم بالتاريخ أم أنه مجرد تهويش في أن يقول حضرته أن فلانا ذهب إلى كذا بعد العشرين وآخر ذهب إلى كذا بعد العشرين بسنين ، مع العلم بأنه يظهر أن هذه هي النقطة الوحيدة التي عرفها من تاريخ نابليون ، ومع ذلك يجهل كم كان سن نابليون بالضبط عند ظفره في استرلتز . ولنعد إلى مناقشته في هذه المقارنة . أبو مسلم ونابليون كلاهما دعى للحرب والجلاد وحضرته يقرر بأن كلا منهما كان يتجاوز سن العشرين فهل كنت يا هذا تنتظر أن يدعى لمثل هذه المواقف الخطيرة — ليقتحم مافيها من عراك ونزال — الشيوخ والكهول مابعد الاربعين والخمسين ليعتمد عليهم في كسب المعركة ونيل الظفر ؟ فليست المقارنة في اتفاق الرجلين في الشباب وقت نهوضهما وإنما فقط في النبوغ والطموح وخطورة الحوادث التي مرت على كل واحد منهما . فهل كانت هذه الامور محل بحث لهذا المتصدى لأمر لم يخلق له ؟ ذهب أبو مسلم إلى خراسان وظفر نابليون في استرلتز . فما وجه المقارنة بين رجل ذهب إلى جهة وآخر ظفر بجهة أخرى . يقول حضرته (إن أبا مسلم قام بالدعوة لبني العباس فأذل العرب ورفع بني العباس إلى سماوة المجد بعد أن زلزل هذا العرش بني أمية) فهل سمع الناس أعجب من هذا مؤرخ ؟ أبو مسلم أذل العرب لبني العباس ! وبنو العباس هم العرب وأصل العرب ومن أجلهم خضعت .

العرب، وليست مهمة أبي مسلم أن يذل العرب لبنى العباس فقط و إنما العرب وغير العرب، الدعوة إلى الجميع على حد سواء. وإن تعجب فعجب قول هذا المؤرخ (بعد أن زلزل عرش العباس بنى امية) أى عرش جماعة كان قبل الآخرين. أعرش بنى العباس أم عرش بنى أمية ؟ و إذا فكيف زلزل عرش بنى العباس بنى أمية ولم يكن لبنى العباس عرش قد وجد بعد ! ؟ ألا يحق لنا أن نقول :

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

إن دعوة بنى العباس في خراسان وغير خراسان كان قد أثمر ثمرها وأينع وكانت قد وجدت من طبيعتها تربة خصبة بعد أن سئم الناس حكم الأمويين فان كان أبو مسلم قد وقف على رأس الحوادث الفاصلة فهذا حظه من تاريخ حياته ولسنا بمنكرين ما كان عليه من مكانة ممتازة وشخصية بارزة على كثيرين من أهل زمانه كما أن لغيره شخصيات فى التاريخ الاسلامى بل ربما فاقته مثل شخصية الحجاج التى سبق أن نوهنا عنها وطاهر بن الحسين موطد عرش المأمون وهو ما إذا أحللناه بين رجال التاريخ كان العلم الفرد وغير هذا وذاك كثير. أما ان أبا مسلم قتل ستمائة ألف فهذا عمل لم يذكره مؤرخ على أنه مزية من مزايا نابليون، أو أن أسند هذا الأمر إلى رجل من رجال التاريخ مما يشهد بعظمة هذا الرجل. وإنما يستوى فى ذلك قطاع الطرق وزعماء العصابات المعروفة لكثرة فتكها ببنى الانسان. وأما المقارنة بين الرجلين فى فاجعتهما فليس هنا وجه للشبه، إذ أن أبا مسلم كان قد اضطغن عليه ثانى خليفة فى الدولة التي عمل لها فقتله، لاخشية أن يكون لأبى مسلم مطمع فى الخلافة لأن أبا مسلم كان يفقد عناصر الخلافة ومزاياها فى ذلك العصر، و إنما خشية أن يستعمل نفوذه إلى جهة أخرى تهدد خلافة العباسيين أو أبا جعفر بالذات. أما فاجعة نابليون فليست من هذا القبيل بل هى نتيجة لمطامع الرجل التى ما كانت لتحد لولا أن وقف له القدر حائلا دونها. فمكانة نابليون فى التاريخ ترجع إلى أسباب ومزايا هى غيرها فى أبى مسلم يكفى منها ما أشرنا اليه إجمالا من النبوغ المدرسى أولا ثم فى الحركة العلمية التى تجلت فيها عبقريته حتى أدهشت الجميع ثم فى مطامعه وتحديه العالم أجمع ليكون تحت نفوذه وسلطانه، وغير ذلك من الصفات التى يعرفها كل من استوعب تاريخ نابليون.

أما القول المأثور عن المأمون بأن أبا مسلم أحد الثلاثة الذين قاموا بثقل الأرض فهذا قول رجل فى صنيعة من صنائعهم، وليس فيه أقل دليل على أن زعيم الشيعة الخراسانية قد تفرد بعظمة تاريخية استحق بها أن يضعه مؤرخ هذه الايام فى صف الامبراطور نابليون ، ومن يدرينا لعل لحضرته عذراً فى الاستدلال بكلمة المأمون إذ ربما خيل اليه سهواً أو جهلا أن نابليون كان قد تقدم عهد المأمون فأغفله هذا من ذكر الثلاثة الذين قاموا بثقل الأرض وليس هذا بعيد على رجل يصرح له بالكتابة فى السياسة الاسبوعية فيقول فى عبث وجهل أن عرش بنى العباس — قبل أن يخلق هذا العرش — كان مهدداً ببنى أمية ثم يأتى برجل من رجال القرن الثامن ليضعه فى صف رجل فى القرن التاسع عشر فيتقدم بهما فى غير ما خجل مقرونة شخصية كل منهما بشخصية الآخر وهو مالم يحلم به أبو مسلم الخراسانى حتى بعد إساءته الى ستمائة ألف من بنى جلدته ودينه الآمنين بقتلهم ظلما وعدوانا بخدمة لسادته العباسيين فمن هم سادة نابليون إن صح زعمك أنك تعرف شيئاً عن تاريخه ؟

مؤرخ

فى سبيل الصحافة

بقلم السير فيلب جبس

مترجمة بقلم محمد عبد الحليم البرعى

مقدمة

لم تكن الحياة الصحفية يوما من الايام بالحياة الهنية عملا وقل أن تكون موردا للاثراء وأنا من الذين ينصحون الشبان بأن لا يتخذوا الصحافة فاتحة لأعمالهم ولا لأولئك الذين يودون حفظاً لكيان حياتهم ومعيشتهم موردا مضمونا ووقتا منظما وحياة راضية مرضية

وإذا كانت المستحيلات أربعة فان الخامسة أن تسمع أو ترى أن هناك صحفيا بالمعاش يعيش البقية الباقية من أيامه على ثمرات حياته الماضية وحسبه أنه مضطر أن يعمل ويكتب ويظل حتى آخر نسمة من نسمات حياته بل حتى يسقط القلم من بين يديه وهو مكب على مكتبه وعلى عمله بل حتى يضرب جرس الآلة الكاتبة آخر ضربة فى وقت تميل رأسه وتنقطع أنفاسه ويصبح جثة هامدة ويسقط فوق جملة لم تكمل بعد

وبالرغم من كل ذلك فان الصحافة لاتزال أحسن سلوى فى هذه الدنيا للرجل الحاذق النشط الحائز على شىء من الطلاقة والفكاهة والممتاز ببعض الصفات فى حسن استعماله للالفاظ وأن يكون فوق كل ذلك فضوليا بفطرته للوقوف على مبلغ حقيقة بها حياتنا التى تمثل على مسارح النهضة الاجتماعية وعلى شريطة أن يكون أبعد الناس عن الدنايا وأعفهم نفسا وأشرفهم غاية

ولأستطيع أن أبين لحضرات القراء بعض مايعترض حياة الصحفى من المخاطر وحرج المواقف أقص عليهم بعض القصص الآتية على سبيل التفكهة

الحادثة الاولى

إن من الهزء والسخرية أن يجد الصحفى نفسه يوما ما فى بعض الأحايين فى

حضرة عظماء العالم والقابضين على ناصية الحكم فيها وعلى أزمة الثروة أو أصحاب الحول والجاه وفى وقت قد أخذ يفكر فيه ذلك المسكين فيما إذا كان أجره عن المقالة القادمة ستفى بأجر مسكنه الاسبوعى ويتبقى بعدئذ بعض قطع فضية ترن فى جيبه الرث البالى

لقد ساءت الظروف وقضت على مهنة الصحافة ان أقضى ذات مرة بعد ظهر يوم من الأيام بحضرة ملك اسبانيا واشراف بلاطه رغم أننى لم أكن محقاً فى أن أكون بحضرتهم وكان ذلك يوم زواج أمير من أمراء آل بوربون بسيدة تمت بقرابة لملوك فرنسا اسلافها الأقدمين. ولقد كان الاحتفال بمنزل انكليزى قد تم فى اقسام المعدودة من رياض انكلترا ومن أملاك ديوك أورليانز وولى عرش فرنسا تحكم الوراثة وكما ينطق بذلك الشعار المنقوش على كل لوح زجاجى ومطبوع على كل فنجال وطبق فى منزله بفناء الذى احتفظ لنفسه فيه بحياة ملوكية ملؤها رغد العيش والعظمة والفخامة والجديرة به لما اتصف به من الدعة والكياسة شأن هنرى الرابع جده العظيم

لم يستطع ديوك أورليانز أن يتحمل تطفل الصحفيين فأصدر أوامره المشددة بأن لايدخل أى صحفى قبل أن يتم ختم ذلك العهد الخاص باكليل الزواج وعلى المنقوش ليمثل معبدا ملوكيا قديم العهد عشية ليلة الاحتفال

ولضمان ذلك وحذرا من تسلل أى صحفى إلى ذلك المكان قد صفت قوة عظيمة جدا من رجال البوليس والمخبرين على امتداد ثلاث أميال حتى غابة تورنتن ولحراسة جميع المداخل أيضا

ولقد كنت مكلفا وقتئذ أن أمد صحيفتى بوصف شامل لكل الاستعدادات التى كانت قائمة على قدم وساق وبقائمة بجميع أمراء وأميرات البوربون الذين يفدون من جميع انحاء أوروبا

ولانجاز تلك المأمورية على الوجه الأكمل وجدت أن خير طريق أسلكها هى اكتراء عربة فخمة أقلتنى إلى غابة تورنتن ومن غريب المصادفات وحسن حظى انى التقيت بعديد من العربات التى تقل ملك وملكة اسبانيا وجميع أعضاء العائلة مترامية على طول الخط بجميعه ميممة وجهها شطر انفسلم فاستقبلنى رجال البوليس ومخبروهم

كما استقبلت عربات بقية الأعضاء ومررت دون أقل معارضة من بين المداخل العظيمة المطلاة بالريحة الذهبية والتى يعلوها تاج فرنسا وشعارها ولقد استقبلنى فوق ذلك القهرمان بمنتهى الحفاوة والاكرام ظانا أنى أحد أعضاء البوربون وعلى ذلك دخلت وملك وملكة اسبانيا وفريق عظيم من كرام العقيلات وأشراف البلاط إلى المعبد وأخذنا نمتع النظر ببديع صنعه ثم تعديناه إلى مشاهدة نفيس الهدايا المقدمة للعروسين فالزينة المقامة بقاعة الوليمة المحلاة بجميل الأزهار حتى وصلنا إلى اسطبلات الدوق

وكان ملك اسبانيا على جانب عظيم من الغبطة والسرور وكثيرا ما وجه إلى شخصيا بعض ملاحظات بكل حفاوة واخلاص معتقدا أنى أحد رجال الدوق الأشراف واخيرا أعدت ادراجى فى المساء مخترقا نطاقا عظيما من رجال البوليس الذين كانوا يحيوننى على طول الطريق ومن ثم كنت موضعا مسهبا بكل ما رأيت مما أدهش جميع أصحابى وقرنائى

فى اليوم الثانى شهدت الحفلة ورأيت ذلك الاجتماع العجيب — اقتران الدم الملكى القديم الفرنسى والاسبانى والنمساوى معا —

ومن لطيف ما حدث أن انثنى فى حفلة الوليمة أحد النبلاء الاجانب بعد أن احتسى من الكؤوس المترعة ما أثمله فظل يترنح يمنة ويسرة وينشد من الأغانى العامية ما طرب ملك اسبانيا وجميع الحاضرين وان أسخط عليه حوذى عربته التى أقلته بسلام

* * *

الحادثة الثانية

• أن هذه الحادثة التى ظهرت فيها بين رجال البلاط البريطانى لتجعلنى كلما ذكرتها أشعر بخجل عظيم لتطفل ذلك التطفل غير المرغوب فيه والذى لا أجد أمامى ما يكفر عنه أو يبرره . وكان ذلك يوم شرع الملك جورج والملكة مارى فى افتتاح معرض المدينة البيضاء فى لندن

أخذا جلالتهما يتفقدان المعرض مبدئيا فى يوم مكفهر كانت فيه جميع انحاء المعرض كاكام فلندر — برك ومستنقعات — مما أثار سخط جلالته وأفرغ حلمه فأخذ

يظهر لمن أوكل اليهم الأمر بشكل محسوس جام سخطه وغضبه على تلك الحالة وبينما هو مسترسل فى كدره غاص قدمه فى منقع فياض فتدفقت الأوحال على كل ملابسه الرسمية ومن ثم أدركته الملكة ماري قائلة (هيا ياجورج حتى نعود إلى القصر .) فى ذلك اليوم احتشد الخلق ذرافات ذرافات أمام فناء المعرض بعد أن منعوا من الدخول حتى ينتهى الملك والملكة وتدخل حاشيتهما ورجال البلاط واشرافهم وينتهون من زيارتهم أيضاً

أما رجال الصحافة فقد حجزوا أمام مدخل المعرض العام بواسطة حبال شدت من طرفيها إلى موقف استحال عليهم رؤية أى شيء ما ماجعلنى على جانب عظيم من الكدر وضيق الصدر غير أنى لم أعدم وسيلة إلى كد حزناد أفكارى توصلا لاكتشاف خير حل لاخراجى من ذلك المأزق الحرج وبعد قليل أقبل رجال البلاط معاونوما كادوا يخترقون مدخل المعرض حتى وقف رجال البوليس بينهم وبين الجمهور سدا منيعاً حتى لايتسلل أى مخلوق خلفهم

وجدت الظروف سانحة ومن العجز أن أدعها تمر دون أن استفيد منها فأسرعت بخفة القردة وسرعة البرق الخاطف وتخطيت الحبل الحائل وفى أقل من لمح البصر كنت ضمن رجال البلاط كتفاً لكتف

وقد حدث لحسن حظى أن هذه الحركة حركة التطويق التى قام بها رجال البوليس، قد حالت بين أحد العظماء (وزير فرنسا المفوض) وبين اتصاله ببقية رجال الحاشية، ولما كان ذلك الوزير يجهل الانكليزية فقد حاول عبثاً افهام رجال البوليس مركزه وحقيقته ولكنه لم ينل منه غير طعنة من كوعة فى صدره أعقبها صيحة الآمر الناهى « ارجع قافلا » وعلى ذلك استتب لى الأمر وأصبحت الشاغل الوحيد لفراغ محله قوة واقتداراً من حسن الصدف

ولقد شعرت من طرف خفى ورأيت أن المخبرين قد أخذوا يعدون رجال ذلك الوفد الملكى وقد ظهر عليهم دلائل الاقناع بأنه لم تعد العدد المعين الصادر ب‍هم التعليمات الرسمية بشأنه ولما كنت أرتدى بدلة رسمية بقلنسوة عالية حريرية فقد كان من السهل أن أظهر بمظهر الوزير الفرنسى المفوض أو على الأقل لم أكن مدعاة إلى الشك مطلقاً

ولا يفوتنى أن أذكر أن الشخص الوحيد الذى لاحظ اختراق النطاق من بين رجال ذلك الوفد كان السيرادوارد جراى (الآن فيكونت جراى) ولكنه لم يشأ اقصائى والتخلى عنى بل ابتسم ابتسامة معنوية لجراءتى وتطفلى هذا وبرودى النادر . وفى الواقع أنى لم أكن على شىء من ذلك الجمود والبرود كما يدل محياى ولكنى كنت فى أحرج المواقف التى قل أن تصيب شخصاً فى الوجود وذلك أن جميع رجال الوفد قد خلدوا يتحدثون مع بعضهم البعض ماعدا الملكة الكسندرا التى كانت صماء فقد كان كل همها أن تدرس كل المعروضات خلف ذلك الجمع عوضاً عن الدخول مع أى أحد منهم فى أى حديث

ولما كان من الصعب أن أجد من أتحدث اليه فقد اكتفيت بالتقهقر قليلا خلف ذلك الجمع أيضاً مما استلفت نظر الملكة الوالدة التى أخذت تفضى إلى برقتها المعهودة ببعض ملاحظاتها على تلك المعروضات دون أن تسمع إجاباتى التى كان ملؤها التردد الظاهر

ولأول مرة فى حياتى رأيت الاستقبال الملكى الصادر من بحر خضم من جماهير العالم رأيته كما يراه الملوك أنفسهم لا كما يراه جمهرة الناس رأيت بحراً زاخراً متلاطم الأمواج من الأوجه المختلفة المعالم المشرئبة الأعناق المؤلفة من ألوف من الاوجه ذات العين الواحدة (لأن أغلب المحتشدين لا يرى غير نصف وجهه — فعين واحدة) وكلهم يرفرفون بمناديلهم ويهتفون بملء أفواههم فى وقت تهتف فيه الموسيقى صارخة « فليحى الملك »

وفى وقت تفتحت مناظير عشرات من آلات التصوير وأديرت عشرات من أيدى آلات الصور المتحركة

ولما عدت إلى إدارة الصحيفة وجدت أن رئيس التحرير قد أذهله مناظر عدة صور شمسية وأنا أسير الهوينا بجانب الملكة الكسندرا — آمناً مطمئناً . أما وزير فرنسا المفوض فقد علمت أنه احتج أشد الاحتجاج على سوء معاملته

***

الحادثة الثالثة

كان من غرائب المصادفات المدهشة وفلتات الظروف الغريبة أنى وزميل لى

بصحيفة الكرونكل اليومية كنا أول من سمع بوفاة الملك ادوارد السابع من بين جميع مخلوقات ذلك العالم إذا استثنينا من كانوا بقصر بكنهام

كانت النشرات الطبية التى تصدر كلها آية فى الحزن ولو أنها لم تكن مظهراً لليأس وآخر نشرة صدرت ليلة وفاته كانت أحفل النشرات بشراً وسروراً .

كنت طول نهار ذلك اليوم واقفاً أمام القصر أكتب تحت وابل من الأمطار تحت حماية مظلتى وصفاً مسهباً لتلك المناظر المذهلة التى كانت من أكبر المظاهر الدالة على مبلغ الحزن السائد على جميع طبقات الأمة الصادر من أعماق قلوبهم كلما فكروا فى أن شمس ذلك الملك العظيم المحبوب ستغرب عما قليل وأن نجمه سيأفل وانه سيرحل الرحلة الابدية عن انكلترا بل وعن العالم بأسره ، وانى لمعتقد الآن أنه فضلا عن محبة ألوف من الخلق له لما اتصف به من حميد الصفات وجميل السجايا الفريدة والسياسة الحكيمة والمواهب الفطرية ولقد كان هناك فوق كل تلك الاعتبارات شعور داخلى سائد فى فؤاد كل شخص بأن فى وفاة ادوارد السابع اضطرابا للسلم العام ونشوب حرب عالمية كبرى لا محالة

وانى لأذكر إلى اليوم أن أحد الذين كانوا مجتمعين تلك الليلة صرح لى بتلك الفكرة حيث قال حرفياً « ان من بعد ادوارد لحرباً عالمية كبرى طاحنة »

وان من أكبر البينات على مبلغ احترامه ومحبة الشعب لذلك الملك أن جموع المحتشدين حول القصر كانوا الاعداد لهم والذين كانوا يرقبون صدور النشرة الطبية الأخيرة كانوا خليطاً من جميع طبقات شعب لوندره ما بين كونتسات وبارونات وممثلين وممثلات من كبار رجال الأمة والنبيلات والعمال والعاملات من بريطانيين وأجانب وأجنبيات من رجال السياسة وحملة الأقلام ورجال الأدب وأقطاب الأعلام وفى الساعة الثامنة من مساء تلك الليلة أو حوالى ذلك الوقت دخلنا القصر مع بقية رجال الصحف وقد أكد لنا اللورد نوليز أن المنتظر أن جلالته سيقضى ليلة هادئة ملؤها الطمأنينة والصحة والعافية وأنه ليس ثمة حاجة إلى اصدار نشرات طبية قبل صباح الغد فحملت ذلك الخبر السار إلى مكتب صحيفتى وبعد أن شرعت فى الذهاب إلى منزلى افهمنى رئيس التحرير — شأن كل الرؤساء — أنه يأسف لاضطرارى لان أعود إلى أدراجى لامضى ليلتى بجوار السراى خيفة أن يحدث أى حادث

ولما كنت على جانب عظيم من التعب والاعياء فضلا عن أن معدتي كانت أفرغ من فؤاد أم موسى وكان الجوع قد أخذ مني كل مأخذ فقد أردت التخلص من القيام بتلك المهمة وأبديت له اعتذاري غير أنه لم يسمح فاحتججت فذهب احتجاجي صرخة في داو وهباء منثورا وآخر ما نالني من وراء ذلك من ضير وبلغ ما أصابني من ترددي أن أمر استصحابي زميل لي يدى أوى ليشاطرني السهر

وعبثا حاول وانتهى بنا الأمر إلى الذهاب مكرهين عليه تنفيذا لمشيئة الرئيس

ذهبنا وكان أول عمل قمنا به أن أسرعنا بتناول العشاء أولا لسد فراغ معدتنا الخاوية ثم اخترنا عربة ذات أربع عجلات وذهبنا إلى فناء السراى واستعد كل منا لتناوب السهر في وقت يملأ الآخر جفونه فقط بالعربة

ولقد كان من حسن حظنا ومن عطف رجال البوليس علينا أن سمحت لعربتنا الحقيرة أن تلك العربة الوحيدة التي تظل داخل فناء القصر الملكي ورغم وجود مئات من السيارات الفخمة أمام القصر تقل كثيرا من عظماء الرجال الذين آثروا قضاء الليل على تلك الحالة

خلع أذن نعله واستعد للنوم أما أنا فقد أخذت أجوب الفناء جيئة وذهابا أدخن آخر سيجارة وأنا أرقب عن كثب المنظر الخارجي القريب لمئات العربات والسيارات

لم يمض على طويلا حتى رأيت عربة ملكية قاربة جوبي من الفناء الداخلي وهي تسير الهوينا ولم تكد تمر من أمامي حتى تبينت عقب انعكاس أنوار مصباح الفناء أنها تقل من كان وقتئذ ولي العهد والأميرة ماري وكان يلوح على وجهيهما الناصع البياض الفاضة دماؤه دلائل الحزن البالغ وكانت أعينهما تذرف الدمع

فأسرعت الخطى حول عربتنا وقلت لزميلي همسا أني أعتقد أن الملك قد فارق الحياة وفي أقل من لمح البصر كنا نهرول صوب مدخل رئيس اسطبلات القصر وولجنا بابا مفتوحا أمامنا وهناك التقينا بأحد رجال حاشية الملك الذي كان موليا ظهره جهة الموقد يتحادث مع رجل من آخر تبينت فيما بعد أنه الوزير البلجيكي وسألته بكل أدب واحترام

« كيف صحة الملك الآن ياسيدى » وقع بنظره إلى ساعة معلقة فى الجدار وقال وعلى شفتيه ابتسامة صفراء ملؤها الحزن العميق ابتسامة هى أقرب إلى البكاء منها إلى السرور وقال بصوت يفيض تأثرا

« يا سيدى لقد مات الملك ادوارد منذ دقيقتين »

والآن وقد تحقق الخبر من أحد الرجال الرسميين فلم يكن أمامنا إلا أن نسرع بنقل ذلك الخبر إلى مكتب صحيفتنا فقصدنا توا إلى نزل قصر بكنهام وهناك خاطبنا رئيس التحرير تلفونيا

أما النشرة الرسمية فلم توزع على الجمهور إلا بعد ساعة من ذلك الوقت الذى تأكدنا فيه ذلك الخبر

وعند ذهابى إلى منزلى كان بين يدى عدد من أعداد صحيفتى وقد نشرت فى افتتاحيتها حياة وممات الملك ادوارد السابع ومجمل سيرته وهكذا كانت أسبق الصحف إلى نشر الخبر .



نفثات

لفيلسوف العراق وشاعرها جميل صدقي الزهاوي

هاتوا اذكروا لي هاتوا　　ما هذه الكائنات

ما أنت من أنا ماذا　　وجودنا والحياة

ما هذه الارض قا　　مت فوقها الشاهقات

ما البحر تسبح بالنا　　ر فوقه المنشآت

ما البر تقطعه كالز　　وابع القطرات (١)

وما السماء وتلك الا　　بعاد والفجوات

ما الانجم الزهر فيها　　والخنس الجاريات

ما هذه السدم البيـ　　ـض حشوها النيرات

الى متى هذه النـ　　ـيرات مشتعلات

ماذا تريد بهذا الاسر　　اع تلك الكرات

ما العقل ما الفكر ما　　ذا الذكاء والملكات

ماذا الزمان وماذا　　من الزمان الفوات (٢)

وما المكان وماذا　　من المكان الجهات

ما الجسم ما الجذب ما　　ذا السكوت والحركات

ما ذا نهاية هذى　　الاكوان ماذا البداة

وما الهوى يتلاقى　　له الفتى والفتاة

وفي اللقاء لذاذ　　وفي الفراق أذاة

٭٭٭

جمع ومن بعد هذا　　الجمع النظيم شتات

---

(١) جمع قطار　(٢) المضى

وما لشيء زوال وما لشيء ثبات
وربما سوف تحـ ـل هذه المشكلات
اهدوا السبيل غويا ان كان فيكم هداة
بطيئة حين أمشي بعقلي الخطوات
يسير عقلي ولكن تعوقه العثرات
اذا تفكرت كانت للشك بي وخزات
في كل شيء اراه تحوم بي الشبهات
لقد نظرت فما أن أغنتني النظرات
كأنما كل تلك الاشياء مستترات
او ان عيني فيها اذا نظرت قذاة
وربما قلت حقا فخانت الكلمات
ورب قول صحيح ليطت به الغلطات (١)
وسيئات فريق لغيرهم حسنات

***

دع الغرور فما فيك وحدك الملكات
لكل حي على هذه الارض مخترعات
ان كنت طرت فقد طا رت قبلك الحشرات
او كنت غصت فقد غا صت مثلك السلحفاة
سلم فان براهيني هذه مفحمات
لا يستوي النور عند البصير والظلمات
فما الغداة عشي ولا العشي غداة

(١) الصقت به

الموت

تحلو الحياة ولكن ما للحياة ثبات
فرب جيل وجيل تحت التراب رفات
هنالك الناس تخفي عظامها النخرات
الى البلى سبقتها الآباء والامهات
كم في الورى من جروح ما إن لهن اساة
الشيب تبكي شبابا عاشوا قليلا وماتوا
أما القبور فبالمو تى قبلنا مثقلات
وقد تحور ثمارا فتؤكل الثمرات

***

الى سكون طويل ستنتهي الحركات
وتنتهي فوق تلك الحفائر الشهقات
ورب آس لميت عيونه خضلات
يردى الصديق فتبقى من بعده الذكريات
ورب ماض من العيش لي اليه التفات
ان التفاني اليه وراءه حسرات
ولي شبابي فولت وراءه الطيبات
فليته عاد يغوي فاسودت الصفحات

***

مهما كبرت فعندي من المنايا خشاة (١)
كأنما الموت ذئب كأنما انا شاة
والموت ليس بقاس تحق منه الشكاة

---

(١) خشية

عند المنية ان جا ءت تنتهي النكبات
وفي القبور تساوى احبة وعداة

الشعر

لأكثر الشعر موت وللقليل الحياة
والشعر فيه وثوب والشعر فيه اناة
والشعر منه كتاب آياته بينات
والشعر منه كساة والشعر منه عراة
ومنه ما رق حتى كأنه عبرات
امّا قريضي هذا فانه نفثات
احببت شعري فآيا ته لفكري بنات
به شدوت فلذت مسامعي النغمات
وقد يهيجك منه اذا بكى الشهقات
شعري له من شعوري والصدق مستمدات
وانما صقلته ـ الخطوب والنكبات
تمده كلما غا ض دجلة والفرات

بغداد جميل صدقي الزهاوي

رابطة الأدب الجديد بالقاهرة

THE NEW LITERATURE LEAGUE

مركز الرابطة - بدار المصور - بشارع الخليج المصرى بميدان الظاهر بالقاهرة

ليس سراً مكتوماً أنّ الحياة الأدبيّة في مصر مصابة بمرض التخاذل المنبثّ في حياتها السياسية ، والعاقبة في كلتا الحالتين واحدة : وهى ضياعُ مجهودات متعارضة على غير جدوى ، وتأخر النهضة الفكرية وما يترتب عليها من نهضات

وإذا تأملنا هذا المرض المزمن وجدناه للأسف راجعاً الى أسباب شخصية خُلقية من ناحية ، والى عوامل تقليدية خاطئة من ناحية أخرى .

فأما الأسباب الشخصية الخلقية فتتلخص فى أنّ معظم الأدباء الممتازين (بل وغير الممتازين أيضاً !) فى مصر يودّ كل منهم أن يكون الحاكم بأمره فى مناحى الأدب ولا يريد أن يعترف لسواه بأدنى حسنة ، وبعبارة أخرى أن كلاً منهم متشبّعٌ بروح الأنانية الممقوتة لا الفردية المعقولة ، ويعمل ليل نهار على ما فيه مصلحته لا مصلحة الادب فى ذاته ، وليت الأمر اقتصر على الانانية وحدها بل انّه يتعدّاها الى عرقلة جهود الغير ان لم يستطع توجيهها الى مصلحته، وهكذا تضيع معظم القوى الأدبية عبثاً بدل توجيهها الى خير الثقافة العامة ، كما تجنى هذه الروح المريضة على الأخلاق أسوأ جناية بنشر الجحود والمنطق المعكوس الذى لا معنى له سوى تحويل الحياة الأدبية الى مشاحنات ومبارزات مستمرة !

وأمّا العواملُ التقليديّة الخاطئة فأهمها تهيُّب الحقّ مجاراةً للجمهور . فبدل أن يكون أدباؤنا قادةً له صاروا تابعين أومجارين عالثونه ويخدعونه لينالوا تصفيقه ،

وفى ذلك من الخيانة لمهمتهم الفكرية والاجتماعية ما فيه. وهذا يستدعى بطبيعة الحال التشبث بالفردية وتشجيع التحزب الأعمى وتكوين أصنام يعبدها الغافلون ، وما هو الا التهريج بعينه وتضحية الخير العام لمصلحة الافراد البارزين ، وتلك إحدى العلل المستعصية التى نكبت بها مصر (بل الشرق العربى) طويلا وما زالت تئن من عواقبها

فوسط هذه الظروف الأليمة كوّنت فى الاسكندرية منذ عامين (رابطة الأدب الجديد) لمقاومة هذه العوامل المفسدة ولنشر مبادىء الثقافة الحديثة على قدر ما يبلغ نفوذها ، ونحن نتمنى لهذه « الرابطة » الصالحة التوفيق المستمر ، ونرجو أن تنشأ على غرارها « روابط » أخرى فى جميع عواصم القطر المصرى بل وفى أهم عواصم العالم العربى ، وأن يؤدى ذلك الى تعاون أدبى قيم جليل الفوائد لشعوب الضاد جميعاً . والقاهرة بدورها تستقبل الآن تكوين (رابطة الادب الجديد) فيها لنفس الاغراض التى قامت من أجلها شقيقتها فى الاسكندرية . وتتلخص مبادىء « الرابطة » فى بث روح الاخاء والتعاون الأدبى — ذلك التعاون الذى يشجع نشر أحاسن الآداب العصرية، وانتشال الأدباء المغمورين الجديرين بالذكر ، ورفع مستوى الثقافة الفكرية بيننا، وتهذيب أخلاقنا نحن الأدباء الذين ينظر إلينا الجمهور كقدوة له . ولن يعنى ذلك الاخاء الأدبى بحال من الأحوال تنازل أى أديب عن شخصيته ، ولكنه يعنى التنحى عن عبادة الأصنام ، والاندماج فى تقدير المبادىء العالية ، والتعاضد على خدمة ألوان الجمال الأدبى ، مع الاحتفاظ الكلى بحرية الرأى والنقد . ويعنى ذلك أيضاً أنه متى اتفقت الآراء على نشر رأى تهذيبى أو أدبى فى الشعب تضافرت الجهود وتعاونت على تحقيقه بغير ظهور شخصى وبدون طنطنة كثيراً ما تعودنا سماعها دون نتيجة حيوية مأثورة

ويبلغ عدد الأعضاء المؤسسين للرابطة ٢٩ عضواً من أدباء مصر البارزين

وهم يؤلفون مجلس ادارتها ، و يجوز لمن يقتنع بصلاحيّة مبادئها و يرتاح اليها أن ينضمّ اليها كعضو مشترك نظير بدل اشتراك سنوى قدره ١٥ قرشاً مصرياً . وله حينئذ حق حضور اجتماعاتها الشهرية التي تعقد في يوم الخميس من كلّ شهر الخطابية كما له حقّ الحصول في نهاية السنة على مجموعة محاضرات « الرابطة » مطبوعة .

والمرجو بمرور الزمن أن تنشأ « للرابطة » أقسام دراسية متنوّعة للتاريخ واللغة والشعر والفنون الجميلة الخ . على مثال الاقسام العلمية التي في نية (المجمع المصرى للثقافة العلمية) أن يكوّنها وسينشر في « العصور » في عدد مقبل قانونها الاساسى وجميع المكاتبات توجّه الى سكرتير « الرابطة » الاستاذ كامل افندى كيلانى بدار العصور .

سؤال

لحضرة الاستاذ اسماعيل مظهر.

تحية . وبعد ربما يأخذكم العجب أو يعتريكم الملل لورودكتاب من شخص لامعرفة شخصية بينه وبينكم ولا صلة الا صلة العلم . ولكن اعتماداً على علمكم الجم وحبكم لخدمة الحقيقة تجرأت على تسطير هذه السطور

لا أريد أن أقدم نفسي الآن ، ولا أنوى اظهار مبلغ رغبتى فى تتبع أفكاركم ودراسة مؤلفاتكم ، فهذه ستكشفها لكم الايام ولا ضرورة لذكرها الآن . وكل ما أقصده من كتابى هذا هو ان تتكرموا وتبدوا رأيكم فيما يلى عسى أن تهدأ أفكارى المضطربة لتمكن من السير فى هذه الحياة على صراط مستقيم.

أكتب هذه الاسطر وقد انتهيت من مطالعة كتابك ملقى السبيل ، ولا أكتمك ان فصوله الأخيرة أعجبتنى أكثر من فصوله الأولى حتى انى طالعت تلك أكثر من مرة . ولكنى خرجت من الكتاب ولدى فكرة مؤداها انكم قصدتم عند كتابة كتابكم التوفيق بين الدين والعلم ، وهذه الفكرة تتجلى أيضاً فى كثير من كتاباتكم فى العصور . انكم نهجتم فيما كتبتموه طريقاً وسطاً بين جمال الدين الافغانى زعيم المتصبين والدكتور شبيل الناشر لمذهب بخنر فى الشرق . والعفو يا سيدى ان قلت إن هذا التوفيق لاينطبق على العلم المادى ، ولاينتج نتيجة يجوز للانسان ان يدين بها بل يولد الشك فى العقل الانسانى والشك مما يزيد فى عذاب النفس .

ان جيوش الدين مولية الادبار امام جيوش العلم ، وان الفوز سيكون طبعاً حليف العلم فلماذا لاندين بما يأتينا به العلم ونترك مايوحيه لنا الدين ؟ ربما يخشى البعض ضياع أخلاقنا ولكن لامحل لهذا الخوف لان الخلق المتخذ من العقل خير من المتخذ من العاطفة ،أو قل ان الخلق العلمى المادى خير من الخلق الدينى ، وان اخلاقنا اليوم آخذة فى التحول من الدين الى المادة ، ولا يبعد ان يأتينا دور نطلق به الخلق الدينى ثلاثاً لنرمى أنفسنا فى أحضان الخلق المادى .

اني أشعر انكم شاكون لا تعتقدون اعتقاداً جازماً بالدين ولا تؤمنون بالحقائق العلمية إيماناً يجعلكم تتركون الدين جانباً فهل انا مصيب فيما أشعر؟ هاك البرهان . . .

تعتقد ياسيدي بان « الاعتقاد بالله ضرورة أولية للاحتفاظ بالفة العقل الانساني » وباعتقادك هذا تعني ان الدين أمر ضروري لسعادة الانسان عقليا ، ولكن الالفة العقلية غير متوقفة على الاعتقاد بالله وبالدين فحسب وانما هي متوقفة على الاعتقاد بأية عقيدة سواء كانت مادية أو دينية . ولما كانت العقائد الدينية لا تتفق والعلم وانما هما على طرفي نقيض ، ولان العقل يتأثر من الحقائق العلمية قبل ان يتأثر من العقائد الدينية ، ولان سعادة الانسان المادية والمعنوية تتوقف على مقدار ما يحصله الانسان من المادة ، لا تبقى فائدة من الاعتقاد بالله أو بالاحرى بالدين . وعلى هذا ليس من الضروري ان يترك الانسان الدين جانباً ليتمسك باهداب المادة ؟

هذا ما عن لي أن أسطره لكم الآن فعسى ان تتفضلوا بابداء رأيكم به لعلي أصلح أفكاري ان كانت على ضلال .

المخلص

حسن أحمد السلمان

(العصور) موعدنا بالرد على هذا الكتاب في العدد القادم